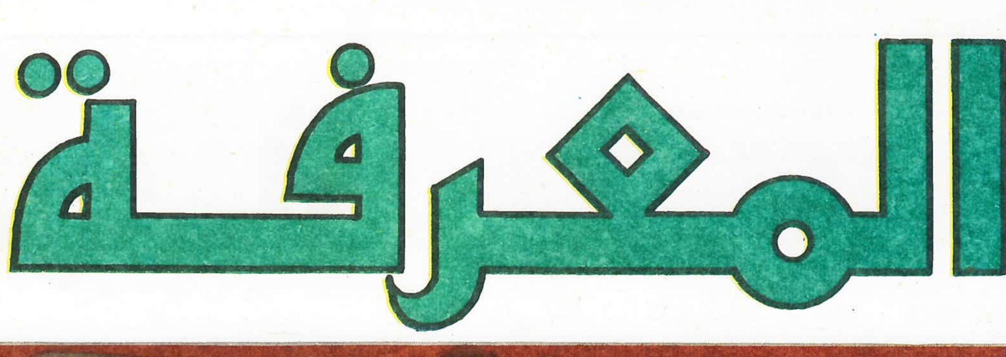
٧٩
السنة الثانية ٢٨/٩/١٩٧٢
تصدر كل خميس



د

A. Fedini

المعرفة

اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة :

الدكتور محمد فؤاد إبراهيم — رئيسا

أعضاء:
الدكتور بطرس بطرس غالى
الدكتور حسين فوزى
الدكتورة سعاد ماهر
الدكتور محمد جمال الدين الفندى

اللجنة الفنية :
شفيق ذهنى
طوسون أباظه
محمد زكى رجب
محمود مسعود

سكرتير التحرير : السيدة/عصمت محمد أحمد

د

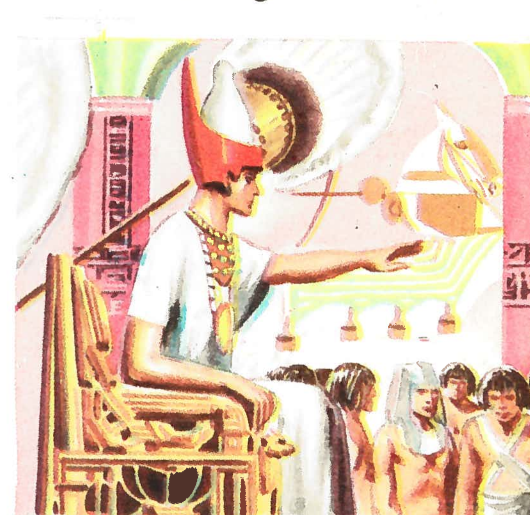
دستور "الجزء الأول"

نظام الحكم المطلق والحكم الديمقراطى على مر التاريخ



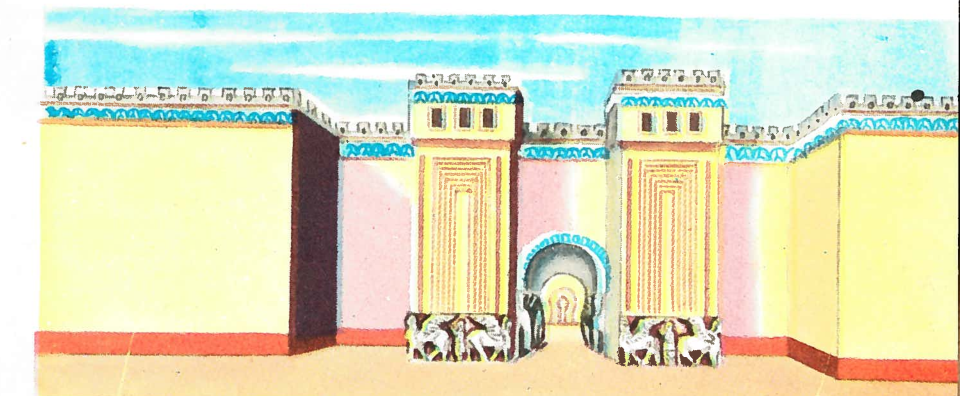
في إحدى القرى البدائية : الرئيس يوزع المحصول

كانت غريزة البقاء تدفع الإنسان منذ أقدم العصور للتجمع على هيئة قبائل رحل، أو فى قرى ثابتة . وكان الناس يشعرون بحاجتهم إلى زعيم يحكم هذا التجمع ، وإن كانوا يحرصون فى الوقت نفسه على الاحتفاظ بحريتهم . وكانت نظم الحكم المطلق تتسم برجحان سلطة الحاكم على حريات الأفراد . وقد تبودلت تلك النظم على مر التاريخ، مع النظم الديموقراطية التى تحظى فيها الحرية بأهمية كبرى .



فى مصر القديمة ، كان الشعب يعبد الملك – فرعون – كإله

وهكذا نجد أن رؤساء القبائل الأولى كانت لديهم فى الغالب سلطة مطلقة Absolute Power . وكانوا يختارون من بين أهل الحكمة المتقدمين فى السن ، إذا كان المجتمع مسالما ، أو من بين الأقوياء ، إذا كان المجتمع محاربا . وكان هؤلاء الرؤساء يملكون سلطة الحكم على الجميع ، واتخاذ القرارات الهامة ، وسلطة القضاء بفرض العقوبات على المذنبين ، وكان الجميع يدينون لهم بالاحترام والطاعة .

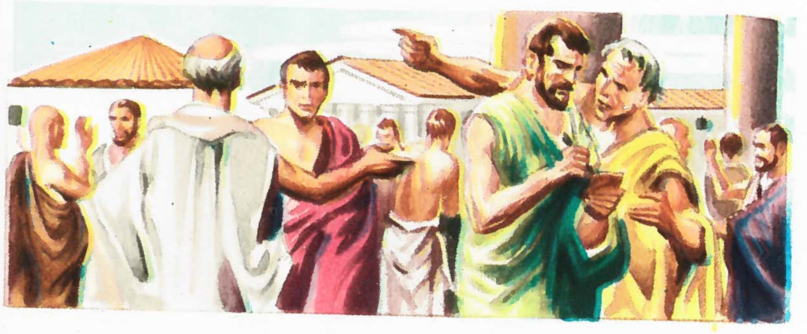


قصر الملوك الأشوريين ، الذين سيطروا على الشرق الأوسط عام ٧٠٠ ق . م .

وأخذت القبائل بعد ذلك تتجمع ، والقرى تتقارب ، وبدأت الشعوب تتكون بالتدريج . ومن ثم فإن الرؤساء الذين كانوا يحكمونهم أصبحوا أكثر سلطة ، وأقوى نفوذا ، وإن كانوا يخضعون لبعض التقاليد ، ومن ذلك استشارة بعض المجالس قبل إصدار القرارات .

ولكى يضمن هؤلاء الرؤساء المزيد من الطاعة ، كانوا يعتبرون أنفسهم فى مصاف الآلهة (كما كان يفعل الفراعنة الذين حكموا مصر القديمة) ، أو رسلا للآلهة .

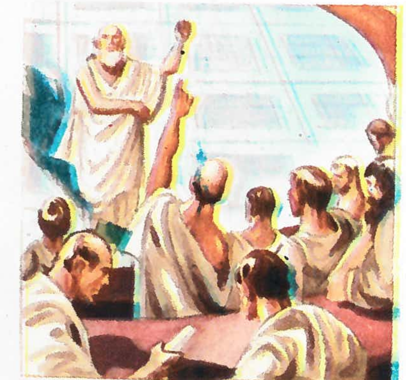
غير أننا بعد ذلك نجد نظما للحكم الديموقراطى Democratic فى الأزمنة القديمة ، وقد تطورت تلك النظم بصفة خاصة فى بلاد اليونان : كانت المدن اليونانية تكون كل



المواطنون الأثينيون ينتخبون ممثلهم فى الحكومة . كانت أثينا أول مدينة تجرى فيها انتخابات حرة .

منها ولاية مستقلة ،لها حدودها وقوانينها الخاصة ، وتعتبر أثينا مثلا للمدينة الديموقراطية، بعكس ما كانت عليه مدينة سبرطة ، التى كانت تحكمها حكومة مستبدة .

وفى روما تتابع النظامان . وبدئ بحكم الملوك ، ثم بقنصلين ينتخبهما الشعب لمدة عام . ثم مرت بفترة ثانية من الحكم الديكتاتورى Dictatorial إبان الحكومة الثلاثية الأولى والثانية ، ثم أصبحت إمبراطورية .



بالقرب من ساحة الاجتماعات العامة ، كان يجتمع مجلس الشيوخ الرومانى .

وبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية ، قضت غزوات البربر على كل الحضارات ، وبدأ بذلك حكم العنف ، وتوالت أعمال الاستغلال والتخريب والفوضى ، وكانت العدالة تقف فى صف الأقوى ، أما الضعفاء فكانوا يقتلون فى المبارزات ، وإذا أرادوا تجنبها ، اضطروا لدفع تعويض مالى .

ذلك هو حكم الاستبداد Anarchy ، أو الحكومة التى لا تستند إلى قوانين ، والتى يتصرف فيها الجميع حسب أهوائهم .

تلى هذا النوع من الحكم ، الحكم المطلق فى جميع دول أوروبا . وكان للملك السلطة المطلقة على رعاياه ، الذين كانوا يعتبرونه شخصية مقدسة . وقد دام هذا النظام فى إيطاليا إلى الوقت الذى ثارت فيه بعض الكومونات ، فى سبيل الحصول على حكم أنفسهم بأنفسهم ، وكونوا إمارات ظل أمراؤها يملكون كافة السلطات .

أساطير رومانية قديمة

عندما تسنم الرومان السلطة الفعلية ، التفتوا إلى ماضيهم لمعرفة أصل مدينتهم ، فتبين لهم أنهم لا يعلمون عنها شيئا ، مما يثير دهشتنا اليوم ، لأننا نميل إلى الاعتقاد بأنهم شعب عتيق مثل مدنهم . ومع ذلك ، فإن الأشخاص فى عهود الملكية لدى أجداد الرومان – فى عهد أغسطس – كانوا بالنسبة لهم نائين ، مثل نأى العصور الوسطى وبعدها بالنسبة لنا . ولئن كنا نعلم أشياء كثيرة عن العصور الوسطى ، فمرد ذلك ، فى واقع الأمر ، إلى كثرة ما تبقى منها لدينا من قصص ووثائق .

أما فيما يخص الرومان ، فإننا لا نكاد نعلم شيئا عن عصور روما الأولى ، ذلك لأنهم كانوا يفضلون السيف على القلم . لكن الأساطير كانت رائجة ، فاهتم بجمعها كتاب عهود الجمهورية والإمبريالية . وفيما يلى بعض هذه الأساطير :

الهوراسيون والكورياسيون

فى عهد تولوس هوستيليوس **Tullus Hostilius** (٦٧٣ – ٦٤٢ ق . م.) ، أعلنت روما الحرب على ألب لا لونج **Alb-La-Longue** ، التى كانت حتى ذلك الحين أكبر مدينة لاتينية . وكان العدو ملكا يدعى ميتوس فوفيتيوس **Mettus Fuffetius** ، الذى ألقى على الرومان خطبة حكيمة تضمنت هذه الكلمات : « نحن نعلم جميعا أن جيراننا الإتروريين يتحينون الفرصة السانحة لإخضاعنا نحن الشعوب اللاتينية ، فى حين أننا نتشاجر .. سينظرون إلينا ونحن نتقاتل ، وكأنهم يشاهدون منظرا جميلا ، وعندما يشعرون بضعفنا ، سينقضون علينا ، ويهزموننا بدون مجهود . فلماذا لا نصفى ما بيننا من خلاف بأن يتبارز ثلاثة من المحاربين الألبان **Albains** ضد ثلاثة من الرومان ؟ » . فوافقت روما على هذا المنطق الرصين ، واختارت ثلاثة إخوة من أسرة هوراس ، واختارت ألب **Albe** ثلاثة إخوة من أسرة كورياس .

تبارز الرجال الستة فى الحال ، وهم محاطون من الجانبين بصفوف الجيش المتراصة : وما أن بدأ تبادل الضربات ، حتى سقط اثنان من الإخوة هوراس صرعى . فارتفعت صرخات الانتصار من فريق الألبان ، أما الرومان فكانوا ينظرون فى ذعر إلى هزيمة خيرة رجالهم ، فى حين لم يكن الإخوة كورياس الثلاثة إلا مصابين فقط .

أما الرومانى المتبقى ، فقد طرأت له فكرة جهنمية ، بدلت الوضع تماما . فقد تظاهر بالفرار ، ليتفادى مجابهة الرجال الثلاثة فى وقت واحد ، فتبعه أعداؤه ، ولكن جروحهم التى بلغت درجات مختلفة من الخطورة ، منعتهم من الركض بنفس السرعة ، فتباعدوا .

وهنا توقف الرومانى ، ورجع ناكصا على عقبيه ، وتصدى لأول الذين فى أعقابه وقتله . ثم انتظر الثانى الذى وصل لاهثا فصرعه بسهولة . أما الثالث فكان منهكا من أثر الجرى وجروحه ، فقضى عليه ، وهو يقول « قتلت الإثنين الأولين فداء روحى إخوتى ، والآن أصرع الثالث لتظفر روما على « ألب لا لونج » .

هوراشيوس كوكليس

إن حوادث هاتين الأسطورتين اللتين سنرويهما ، ترجع إلى أيام الحرب ضد پورسينا **Porsenna** ملك مدينةشيوزى **Chiusi** ، إحدى مدن الإتروريين ، الذى كان قد حاصر روما . وقد انتهت هذه الحرب فى الواقع بهزيمة الرومان. وقد يكون إمعان المؤرخين الرومان فى سرد الأحداث المرموقة التى اتسمت بها هذه الحرب ، بغرض إخفاء هذه الهزيمة المخزنة .

وصلت جيوش الإتروريين **Etruscan** وكلها عزم وتصميم على حصار روما ، لكن عاقها نهر التيبر الذى كان يسد مدخلها .

روما أيام الحرب ضد الإتروبين : هوراشيوس كوكليس الذى دافع بمفرده عن جسر سوبليسيوس المشيد فوق نهر التيبر ، فمنع العدو من دخول المدينة .

وكان ثمة جسر سوبلسيوس **Sublicius** الخشبى الذى يؤدى إلى ضفة النهر المقابلة . فاتجه الجنود الإتروريون إلى هذا الجسر ، وكادوا يجتازونه فى مدة قصيرة ، لولا أن رجلا شجاعا اسمه هوراشيوس كوكليس **Horatius Cocles** ، مع اثنين من أصدقائه ، تصدوا لهم وسدوا الطريق أمامهم ، حاملين أسلحتهم بأيديهم . ومن خلفهم كان ثمة جنود آخرون يضربون الجسر بفئوسهم بهمة لهدمه . ولما لم يتبق إلا ممر ضيق ، أمر هوراشيوس زميليه بأن يختبئا ، وظل بمفرده لصد العدو . وأخيرا ، عندما سمع آخر كتلة خشب تسقط من الجسر منهارة ، التفت وقذف بنفسه فى النهر ، وهو يحمل أسلحته ، ووصل إلى الضفة الأخرى ، شاقا صفحة الماء بضربات ساعديه ، بالرغم من حراب الأعداء التى كانت تنهال عليه . واعترافا بصنيعه ، أقام له مواطنوه تمثالا فى ساحة اجتماعاتهم ، كما أهدوه أرضا تبلغ مساحتها ، ما يمكنه حرثها على مدى يوم كامل .

كلالى

عندما تم الاتفاق على السلم ، اضطرت روما إلى تسليم بعض مواطنيها إلى پورسينا كرهائن ، يظلون أسرى إلى الأبد ، إذا لم تحترم روما تلك الاتفاقيات . وكانت من بين الرهائن الشابة كليلى **Clelie** ، التى هربت على رأس زميلاتها من معسكر الإتروريين ، وعبرت نهر التيبر سباحة ، ثم دخلت روما . فاستحقت لشجاعتها مديح وثناء مجلس الشيوخ ، لكنه احتراما لبنود الاتفاقية – حتى مع العدو – فقد أمر المجلس بإعادة تسليم الشابات إلى ملك پورسينا .

هذه الأساطير والأقاصيص المستقاة من وقائع الحروب ، كانت تتواتر فى روما ، وكانت تسرد كأمثلة لحث الشباب على الشجاعة والطاعة والوفاء . وهى صفات حميدة ، جعلت الشعب الرومانى من أعظم شعوب الأجيال القديمة .

ســور هـــادريـان

مع مطلع القرن الأول الميلادى ، كانت الإمبراطورية الرومانية الضخمة قد بلغت أقصى مداها ، وقد بدأت بعض الطاقة التى كرست لتشييدها فى الاضمحلال . . ومما زاد الطين بلة ، أن قبائل الغزاة أخذت تهدد الحدود ، خاصة فى ألمانيا . لذلك تقرر أنه لابد لسياسة الإمبراطورية الرومانية ألا تحاول التوسع ، ولكن أن تتحقق من أن حدودها تستطيع الثبات بصلابة أمام هذا التهديد . لذلك شيدت سلسلة من الحصون على طول نهر الراين **Rhine** لصد الغزاة .

وكانت المشكلة بعينها تماما فى مقاطعة بريطانيا الصغيرة . ولقد شن يوليوس قيصر **Julius Caesar** حملتين على الجزيرة فى عامى ٥٥ و٥٤ ق . م . لكن الجزيرة لم يتم فتحها إلا فى عام ٤٣ ميلادى، على يدى الإمبراطور كلاوديوس **Claudius** . وبالرغم من أن جنوب انجلترا سرعان ما تم دحره، إلا أن شعب البكت **Picts** الشرس فى الشمال ، أثبت أن هزيمته ليست بنفس اليسر. وسرعان أيضا ما اتضح أنه من الأصوب حجزهم عن باقى الجزيرة ، وكان سور هادريان نتيجة لهذا القرار .

التـاريـخ المبـكـر

فى سنة ٧٨ ميلادية ، عين الإمبراطور ڤيسپاسيان **Vespasian** القائد الشهير أجريكولا **Agricola** حاكما على مقاطعة بريطانيا المتمردة . وبعد سبعة أعوام من الحملات القاسية ، نجح أجريكولا فى إخضاع جنوب الجزيرة ، وأخذ طريقه قدما داخل سكتلند ، لـكنه لم يهزم قط قبائل الپكت والاسكتلنديين من الهمج الضراة ، الذين كانوا آنئذ يسكنون ذلك القسم من البلاد .

وقد أقام أجريكولا جهة موقتة يحرسها خط من المخافر على طول خط يقع بين «لسان سولواى **Solway Firth** الحالى ومصب نهر تاين **Tyne** ، لـكن القبائل الجنوبية غدت متمردة خطيرة بعد رحيل أجريكولا بحوالى ٣٠ عاما ، وفى إحدى ثوراتهم ، ذبحوا الفيلق التاسع فى «يورك» ، الذى كان يحتوى على ٣٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ من جنود الرومان . وبعد ذلك ، وفى عام ١٢٢ ، قدم الإمبراطور هادريان **Hadrian** إلى بريطانيا مع فيلق آخر ليحل محل الفيلق التاسع ، وأصدر أوامره بوجوب إعادة تنظيم الدفاع عن الجزيرة ، وبأن يعزل جنوبها عن شمالها بسور يمتد من الشاطئ إلى الشاطئ ، وعهد ببناء هذا السور إلى الحاكم أولاس پلاتوريوس نيپوس **Aulus Platorius Nepos** .

بـنــاء الســور

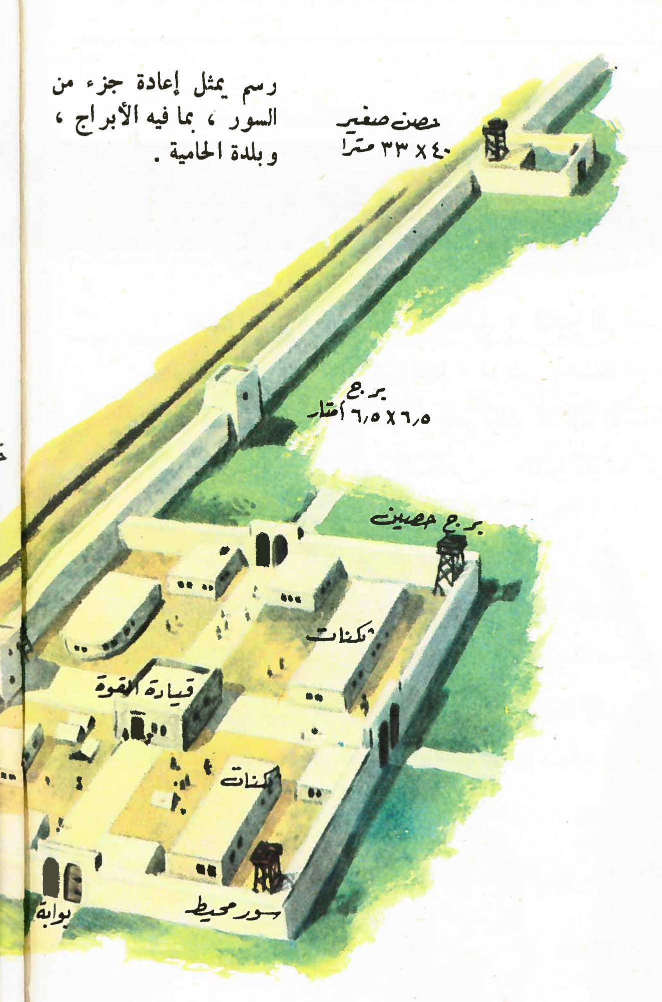
كلف پلاتوريوس نيپوس ثلاث فرق لبناء السور : الفرقة الثانية ، المسماة أوغسطا **Augusta** على اسم موسس الإمبراطورية ، والفرقة العشرين المسماة ڤاليريا ڤيكتريكس **Valeria Victrix** (أى المنتصرة) ، والفرقة السادسة المسماة پيا فيديليس **Pia Fidelis** (الموالية أو المخلصة) . . وكان امتداد السور ١١٧٫٦ كيلومتر تقريبا ، وبينما كان الإثنان والسبعون كيلومترا الشرقية من الحجر ، فإن الباقى كان من الطمى الذى استبدلت به الحجارة فيما بعد . ولقد حدد لـكل كتيبة مؤلفة من ١٠٠ رجل من الكتائب التى قسم إليها الفيلق ، مسافة من السور يبنونها ، وحفرت كل منها اسمها على حجر فى السور كذكرى للجهد الذى بذلته . ولقد اتخذت كتائب المئات عدتها الخاصة لاقتطاع الأحجار ، ونقلها من المحاجر القريبة .

وهكذا انتهك الصمت الذى ساد هذه البلاد الموحشة المهجورة قرونا والتى تبعد عن روما مايربو على ٣٢٢٠ كيلومترا — انتهكه ضجيج العمل العملاق . كان الحجارون يتوجهون إلى المحاجر فى الفجر ، بينما يتخذ الحراس وضع المراقبة طوال النهار خوفا من الهجمات المفاجئة ، والبناوون يعملون بجد فى بناء السور ، مما يشهد على قوة روما حتى على ذلك البعد .



من القناة الأيرلندية إلى بحر الشمال

وهكذا ارتفع السور راسخا فى الفترة من عام ١١٢ إلى عام ١٢٨ . بدأ من نيوكاسل التى كان الرومان يدعونها پونس أيلياس **Pons Aelius** ، وامتد فيما بعد إلى والسند **Wallsend** . كان يجرى خلال بلاد موحشة خالية ، يتبع دائما أعلى الهضاب فى الريف ما أمكن إلى ذلك سبيلا ، ولم يعترض سبيله عائق طبيعى . وأخيرا بعد مايزيد على ١١٢ كيلومترا ، وصل إلى **Bowness-on-Solway** ، على بعد بضعة كيلومترات من الساحل الغربى ، وحتى يستمر خط الدفاع ، أكمل السور فيما بعد عبر بونيس **Bowness** إلى البحر ، فى البقعة التى تركت من قبل دون حماية .



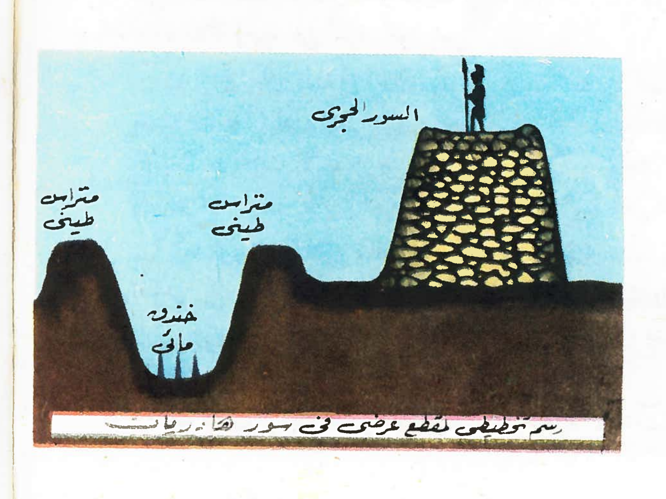
القوات الرومانية تبنى المتراس العظيم فى سور

الســـور

وبينما كان العمل يجرى ، استحدثت تغييرات فى الخطة جعلت من الصعب الروئية الدقيقة للهدف .

وتظهر الرسوم الحديثة عادة السور كحصن عظيم تزيده قوة الأبراج على أبعاد ثابتة . لـكن هذا لا يعطى سوى انطباع شاحب على الإنجاز الـكلى . فالسور فى الواقع يحتوى على جهاز من التحصينات على درجة هائلة . وحتى اليوم، بعد ١٨٠٠ عام من بنائه، مازالت بقاياه تثير الإعجاب الشديد. فالعديد من الكنائس، والقلاع ، والقصور الريفية، والطرق ، قد بنيت على مدى القرون من مواد نهبت من سور هادريان . وكانت التحصينات تتكون من :

(١) الخندق **The Fossa** ، وهو عبارة عن مجرى مائى على



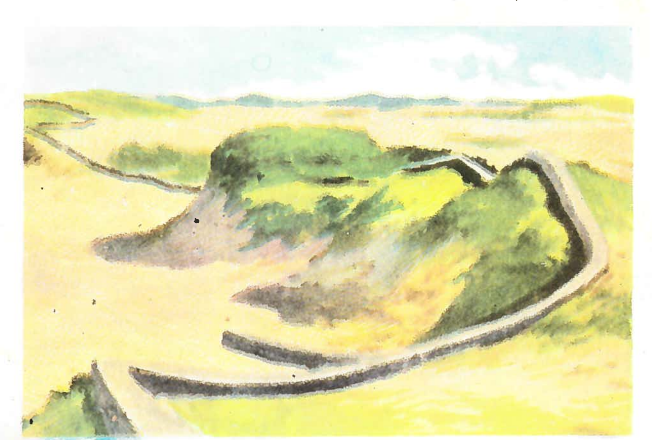
رسم تخطيطى لمقطع عرضى فى سور هادريان

هادريان بهدف الدفاع عن الأرض المحتلة .

شكل حرف V ، يجرى على بعد حوالى ٦ أمتار أمام السور، اتساعه حوالى ٩ أمتار وعمقه ٥ أمتار ، على كل من جانبيه متراس طينى (Valla) .

(٢) السور نفسه ، وكان من المفروض أصلا أن يبلغ ارتفاعه حوالى ٧ أمتار ، وسمكه ٣,٣متر ، لكنه فى الواقع وصل إلى ٥ أمتار ارتفاعا ، وحوالى مترين ونصف سمكا . ويمتد ممر عرضه حوالى متر على طول قمة السور . وكل ميل رومانى (حوالى ١٤٨٠ مترا) كانت ثمة حصون صغيرة أو « قلاع ميلية » ، تحتوى على نفر من الجند ، وبين كل قلعتين كان ثمة برج يستخدم للمراقبة . وهكذا احتفظ بالامتداد الكلى للسور تحت الإشراف والمراقبة بوساطة الدوريات ، حيث يستطيع أفرادها الاتصال ببعضهم بعضا ، عن طريق الإشارات من برج إلى آخر .

(٣) سلسلة من الحصون أو القلاع التى تحتوى على حاميات عسكرية ، مبنية من الحجارة وتنتصب كل ٨ كيلومترات . وكان ثمة ١٧ منها ، وهى فى بعض الأحيان تستحوذ على المشاعر أكثر من السور نفسه . فكل منها تمثل بلدة صغيرة حصينة ، تغطى مساحة قدرها من فدان إلى فدانين ، وكانت إما مربعة ، وإما مستطيلة ، يحيط بها سور ارتفاعه حوالى ٣ أمتار . وكان لها أربع بوابات ، واحدة فى كل جانب من جوانب السور ، ولكل باب مزدوج ، ومدخل خشبى ضخم يدور على مفاصل حديدية . ولهذه المداخل مخافر للحراسة بجوارها ، وكانت الأبراج تحصن الأسوار . وقد يكون من المتوقع أن الحياة بداخل هذه القلاع أقرب إلى البدائية وهى على هذا البعد الشاسع من الحضارة ، حيث سكانها من الجنود وحدهم . لكن العبقرية الرومانية فى الترتيب وحب النظام أكدت وجودها حتى هناك . فلقد تحولت الحصون تدريجا إلى مراكز حضارية صغيرة ، حيث يستطيع الجنود مواصلة الاستمتاع ببعض الرفاهية التى فى المدن الرومانية الكبيرة، وحيث يبيع المغامرون من التجار للحامية العسكرية ، البضائع المستوردة من جميع أنحاء العالم الرومانى .



السور كما يبدو من جرف كدى غرب هاوس ستيدز

الحمامات والتدفئة المركزية وتصاوير الجدران



الفراغ تحت الأرضية الذى يدور خلاله الهواء الساخن

يقع فى وسط الحصن مقر القائد حيث الـ Sacellum ، وهو المحراب المقدس الذى يحتفظ فيه بالرايات والأعلام ، وثمة أيضا المكاتب . ولهذا المنزل جدران مزينة بالتصاوير وبه حمام . وتلتف حول هذا المنزل ثكنات القوات ، وقيادات الضباط ، ومخازن المؤن الحربية ، ومخازن الحبوب التى تستوعب مؤونة عام ، والحمامات . وحتى فى تلك البقع المنعزلة، بلغ شغف الرومان وولعهم بالحمامات، حيث أقيمت الحمامات العامة Thermae ، والتى بنيت منها إلى جوار السور ، كانت أبنية فسيحة فاخرة ، بها غرف لتغيير الملابس ، وأحواض ، وغرف ذات حرارة متغيرة، ونوافذ مزججة . وبالرغم من أن الحمامات والأبنية التى يسكنها الجند ربما بدت رائعة روعة لا تصدق ، إلا أنها كانت تنعم كذلك بتدفئة مركزية كافية . وكان ذلك يتم عن طريق نظام التدفئة المركزية الرومانى Hypocaust . وكانت الفراغات تترك تحت الجدران وفى الجدران نفسها ، يمر خلالها الهواء الساخن خلال أنابيب . وكانت الأرضيات ترتكز على أعمدة لتترك الفراغ الكافى ، ومازال فى مقدورنا مشاهدة الفراغات فى الجدران .

وأحسن النماذج الباقية لأحد هذه الحصون يقع فى هاوس ستيدز Housesteads (Borcovicus) .

نهر الراين



يعتبر نهر الراين The Rhine أطول أنهار أوروبا الغربية (طوله حوالى ١٣١٢ كم)، وأهم الطرق المائية فى القارة كلها. وللنهر ذكريات تاريخية عديدة، ويرد اسمه فى مئات من الأغانى الرومانسية والأساطير. وهو يشق طريقه وسط مناظر طبيعية من جميع الأشكال، من جبال سويسرا إلى سهول هولندا. وتحف بشاطئيه مدن صناعية حديثة، ومدن تاريخية، وقرى ذات مناظر جميلة.

وتعد القلاع الجميلة الرومانتيكية التى تطل على نهر الراين من أهم السمات المميزة له. وتقوم هذه القلاع عادة فوق قمة تل أو صخرة، نذكر على سبيل المثال قلعة الراينهايم Rheinheim الجميلة. وإذا كنت مستقلا سفينة تسير بك فى النهر نحو مصبه، استطعت أن تشاهد بقايا بعض القلاع التى يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى.

وبالرغم من أن منبع النهر يقع فى سويسرا ومصبه فى هولندا، إلا أن الراين يعتبر فى الواقع نهرا ألمانيا، كما كان له تأثير عميق على تاريخ ألمانيا.

نبذة تاريخية

كانت القبائل الجرمانية القادمة من شرق أوروبا فى عهد يوليوس قيصر، قد وصلت إلى الضفة الشرقية لنهر الراين، وبدأت فى عبوره متجهة إلى بلاد الغال Gaul. وقد بادر قيصر باتخاذ إجراءات حازمة ضد تلك القبائل وردها على أعقابها. ومنذ ذلك الوقت، أصبح النهر هو الخط الذى يحدد حدود الإمبراطورية الرومانية. ولم يكن الأمر ليخلو من بعض المناوشات على الحدود، ولكن الرومان لم يقوموا بأى محاولة جديدة لغزو ألمانيا.

وفى المراحل التاريخية الأكثر حداثة، قامت منازعات عديدة بين فرنسا وألمانيا فى سبيل السيطرة على ضفاف النهر. وتعتبر منطقة الألزاس Alsace واللورين Lorraine، أهم المناطق التى دار حولها الصراع العنيف بين الدولتين. كانت الألزاس واللورين فى مبدأ الأمر تتبعان الإمبراطورية النمسوية، وفى القرن الثامن عشر احتلتهما فرنسا، غير أن ألمانيا استعادتهما فى عام ١٨٧٠، لتعودا مرة أخرى إلى فرنسا فى عام ١٩١٩، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

أسطورة لورلاى

على الضفة الشرقية لنهر الراين، أى فى ألمانيا، توجد صخرة ترتفع من جوف النهر فى اتجاه يكاد يكون رأسيا إلى مسافة حوالى ١٢٠ مترا، وتحدث أضواء صوتية غير عادية. وقد كانت هذه الظاهرة، سببا فى منشأ الأسطورة المعروفة باسم «لورلاى» Lorelei، وهو اسم لفتاة جميلة يقال إنها تغوى البحارة وتقودهم إلى حتفهم. وتحكى الأسطورة أن لورلاى تجلس فوق إحدى الصخور، ثم تغنى وهى تمشط شعرها الأصفر الطويل، فلا يكاد البحارة يشاهدونها حتى يسحرهم منظرها، ويلهيهم عن الالتفات للسيطرة على سفنهم، التى سرعان ما تصطدم بالصخور وتتحطم.

منبع نهر الراين

يقع منبع هذا النهر فى وسط مجموعة جبال سان جوتارد St Gotthard ، بالقرب من أواسط سويسرا .

ويبدأ النهر نفسه بالتقاء رافدين صغيرين يطلق عليهما اسم الراين الأمامى والراين الخلفى ، وذلك بالقرب من ممر « أوبرالب Oberalp ». ويمكن تقسيم النهر جغرافيا بعد ذلك الملتقى إلى ثلاثة مجار ، هى الراين الأعلى ، والأوسط ، والأدنى .

المجرى الأعلى - من المنبع إلى مدينة بازل

يبدأ جريان النهر فى اندفاع فوق منحدر شديد الميل . ويترتب على ذلك الاندفاع نحت كميات كبيرة من المواد الصخرية كل عام (حوالى ٥ ملايين طن) ، يجرفها التيار شمالا حتى بحيرة كونستانس Constance (بودن سى) . وما أن يصل النهر إلى البحيرة ، حتى يبطئ مساره ، ويترسب جزء كبير من المواد الصخرية المجروفة فى القاع .

وبعد أن يغادر النهر بحيرة كونستانس ، يأخذ فى التعرج خلال جبال چورا Jura وجبال الغابة السوداء Black Forest . وهنا ينحدر مجرى النهر انحدارا شديدا ، ويتخلله العديد من التيارات السريعة والمساقط ، إلى أن يصل إلى شافهاوزن Schaffhausen ، ومن هناك ينحدر من ارتفاع يبلغ حوالى ٣٣ مترا . ومجرى النهر حتى مدينة بازل عبارة عن مسافات متباينة من التيارات السريعة والهادئة على التبادل . وقد كانت نتيجة ذلك أن الملاحة فى هذا الجزء ، الذى يرسم الحدود بين ألمانيا وسويسرا ، أصبحت متعذرة .

المجرى الأوسط - من بازل إلى كولونيا

يتخذ النهر مساره من بازل Basle متجها نحو الشمال ، ويمر أولا وسط سهل فسيح تتخلله مستنقعات شاسعة . ومن بازل تمتد قناة تصلها باستراسبورج تسمى قناة الألزاس العظمى ، وهى تسير فى خط مواز للمجرى الرئيسى للنهر .

وأهم المدن مثل مولهاوس Mulhouse ، وكولمار Colmar ، وستراسبورج Strasbourg ، وفريبورج Fribourg ، تقع على مسافة قليلة من النهر ، وتتصل به عادة بسلسلة من القنوات .

وتعد ستراسبورج العاصمة التقليدية للألزاس ، ومنذ القرن السابع عشر كانت تخضع أحيانا للحكم الفرنسى ، وأحيانا أخرى للحكم الألمانى . وفى عام ١٩٤٩ أصبحت مقر اجتماع المجلس الأوروبى ، حيث يجتمع ساسة أوروبا الغربية لمناقشة المسائل المشتركة . كما تشتهر ستراسبورج بجامعتها ، وبما تنتجه من « الفواجرا Foie Gras » ، وهى عجينة تصنع من أكباد الأوز .

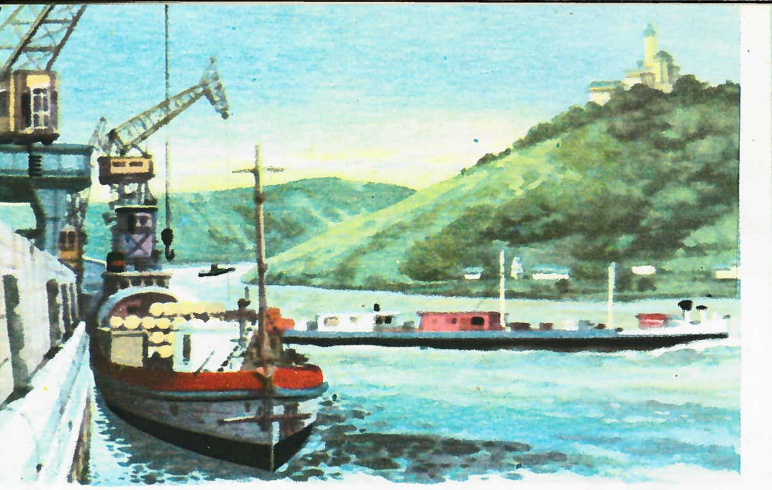
وعند ماينز Mainz يتصل الراين بنهر المين Main ، ويأخذ اتساعه فى التزايد من ١٨٥ إلى ٥٥٠ مترا .

وإلى الشمال ، تعترض الجبال السهل مرة ثانية ، فنجد مزارع الكروم والفواكه على مساطب الجبال ، تطل على مجرى النهر من كلا الجانبين . وعند كوبلنز Coblenz يتصل الراين بنهر آخر كبير هو نهر الموزل Moselle ، فى حين تأخذ الجبال فى التضاؤل إلى أن تصل إلى مستوى السهل بالقرب من كولونيا Cologne . ومن هنا يعود النهر العظيم مرة أخرى لاتخاذ مجراه عبر السهول .

المجرى الأدنى - من كولونيا إلى البحر

ابتداء من كولونيا ، يأخذ النهر مجراه فى تدرج انحدارى ضئيل ، ويسير فى هدوء عبر منطقة الصناعة الرئيسية فى ألمانيا . وابتداء من دوسلدورف Düsseldorf ، تغطى ضفتى النهر مجموعات ضخمة من المنازل ، والمصانع ، والمناجم ، والآبار ، وأفران الصهر . كما تتخلله شبكة هائلة من القنوات والطرق . والمدن ذاتها تتصل ببعضها بعضا ، ولا توجد بينها أى ثغرات زراعية . وتعد هذه المنطقة منطقة صناعية مثلى ، فيها كميات ضخمة من الفحم والحديد ، كما أن النهر نفسه يعتبر وسيلة نقل سهلة وقليلة التكاليف للخامات وللمواد المصنعة .

ويدخل الراين إلى هولندا بالقرب من لوبيت Lobite ، وهناك يبدأ فورا فى تكوين دلتاه . وفى بعض المناطق ، نجد أن سهول الدلتا تنخفض عن سطح البحر أكثر من ٣ أمتار ، فى حين أن مياه النهر وروافده تظل على نفس ارتفاع سطح البحر . لذلك كان من الضرورى حصر مياه النهر بإقامة الجسور ، وهذه تتكون فى العادة من جدران مزدوجة ، وأحيانا ثلاثية ، كما أن المنطقة كلها تتخللها سلسلة تحكمية من الأهوسة والمضخات .



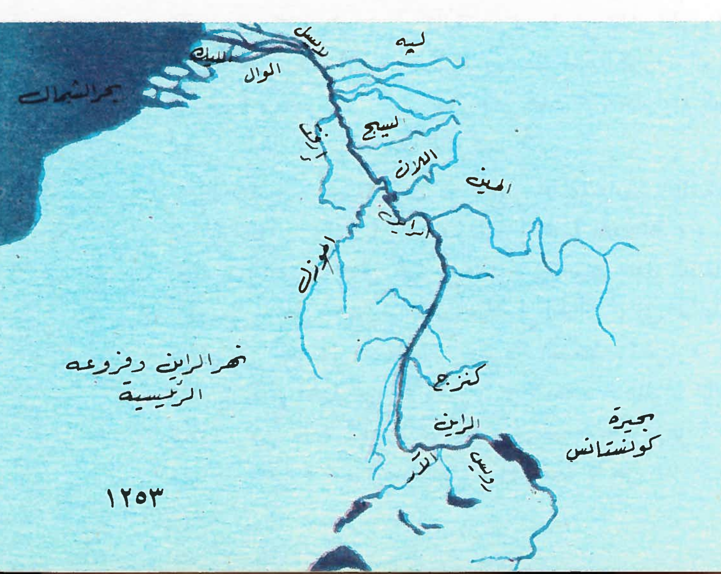
السفن من بلدان عديدة ، تقطع نهر الراين صعودا وهبوطا ، حاملة البضائع والركاب .

الملاحة فى نهر الراين

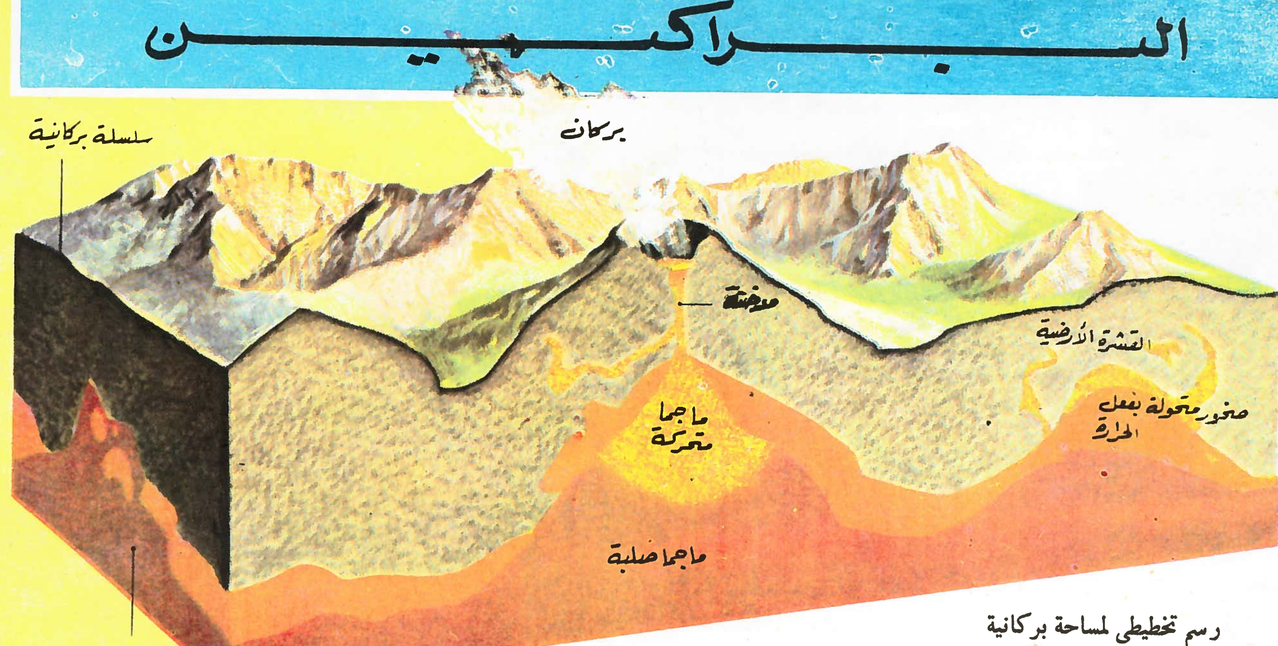
إذا كنت مبحرا خلال نهر الراين ، تستطيع أن تشاهد لوحات موضوعة على مسافات على طول الضفتين ، تحمل رقما ورمزا . وآخر هذه اللوحات توجد عند نهاية الجزء من النهر الذى يصب فى بحر الشمال بالقرب من نيوڤى ڤاترڤيج Nieuwe Waterweg ، والرقم الذى تحمله هو ١٠٣٠ كم . وهذا الرقم يدل على طول المسافة من النهر الصالحة للملاحة ، ابتداء من بحيرة كونستانس . والواقع أن نهر الراين يصلح للملاحة فى معظم حوضه وفى معظم أوقات السنة ، وتعتبر بازل أولى موانىء النهر ، ومنها تبدأ الملاحة الحقيقية . وبازل هى ميناء سويسرا الوحيدة ، وعندما يقترب النهر من نهايته ، نجده يزدحم بالسفن وصنادل الشحن . وتصل حركة البضائع فيه إلى أكثر من ٩٠ مليون طن ، وهو رقم ضخم إذا ما قورن بما يقابله فى ميناء چنوا Genoa ، حيث لا يتجاوز حجم البضاعة بها ١٤ مليون طن .

وأهم موانئ نهر الراين هى ميناء دويزبرج — روهرورت Duisburg-Ruhrort ، وهى فى الواقع أكبر ميناء داخلية فى أوروبا ، وفيها يجرى تفريغ حمولات ضخمة من الحديد الخام ، والزيوت ، والحبوب . والسفن التى تمخر عباب المحيط ترسو فى كولونيا فى مواعيد منتظمة . وتستطيع سفن الشحن حمولة ٥٠٠٠ طن أن تصل إلى مانهايم Mannheim ، أما السفن التى لا تتعدى حمولتها ٢٠٠٠ طن ، فتستطيع أن تصل إلى ستراسبورج . وفى الشتاء يحتمل أن تتجمد مياه النهر ، فتتعطل الملاحة فيه لفترة قد تصل إلى شهر ، ومن مخاطر النهر الأخرى أنه قد يفيض فى المنطقة الواقعة بين كولونيا والبحر .

هذا وقد يكون نهر الراين هو أكثر أنهار العالم حركة ، ففى كل يوم ترسو السفن فى موانئ هولندا ، لشحن البضائع التى وصلت من مختلف المدن الواقعة على الراين ، أو لتفريغ البضائع التى تحملها ، لتوزيعها على مختلف مناطق حوض النهر .



البراكين



رسم تخطيطي لمساحة بركانية

كانت مدينة سان بيير St Pierre في وقت من الأوقات مدينة مرحة وناجحة في موقعها على شاطئ جزيرة مارتينيك Martinique ، إحدى جزر البحر الكاريبي . وكانت سان بيير تضم ٣٠،٠٠٠ من السكان ، وكانت تعرف أحيانا باسم « پاريس جزر الهند الغربية ». وعلى مسافة حوالى تسعة كيلومترات منها ، كان يوجد بركان اسمه جبل پيليه Pelée .

وفي يوم ٢ أبريل ١٩٠٢ ، أخذ البركان يلفظ أبخرة ورمادا . وفي المساء انتشرت فوق قمة الجبل سحابة من الدخان الأحمر ، كان منظرها ينذر بالشر . أما في شوارع سان بيير ، فكان المارة يسمعون دمدمة مخيفة ، وصفيرا ، وأصوات انفجارات ، تنبعث من أعماق البركان . وقد زاد قلقهم عندما أخذ الرماد يكسو أنحاء المدينة بطبقة بلغ سمكها نحو ثلاثين سنتيمترا ، في حين اختلط الجو برائحة الكبريت .

وفي يوم ٨ مايو ثار البركان ، واندفع اللفح الساخن من جانب الجبل كأنه قذيفة مدفع ضخم ، وانسابت سحب متأججة من الغازات على سفوح الجبل بسرعة ١٦٠ كيلومترا في الساعة . وفي ثوان معدودة ، كان معظم سكان سان پيير قد لقوا حتفهم إما حرقا وإما اختناقا ، أما المباني فقد سويت بالأرض أو احترقت ، ويبلغ عدد القتلى ٤٠،٠٠٠ ، وكان الوحيد الذي بقي على قيد الحياة مجرم زنجي ، كان مسجونا في قبو سجن المدينة الموجود تحت الأرض . ولم تنج السفن الراسية في الميناء من الكارثة ، فهي إما احترقت ، وإما غرقت بفعل الأمواج العنيفة التي أثارتها مياه البحر ، التي بلغت درجة الغليان .

وسان پيير ليست إلا إحدى الكوارث الرهيبة المروعة ، التي نجمت عن الانفجارات البركانية . ترى ما هي تلك القوى الجبارة الكامنة تحت سطح الأرض ، والتي تسبب مثل هذه الكوارث التي تنخلع لها الأفئدة ؟ وما هو السر الذي يجعل مثل هذه الانفجارات البركانية من أبشع المناظر على سطح هذا الكوكب ؟

إن القشرة الأرضية تتكون من صخور خفيفة جامدة «طافية» فوق طبقة أخرى أثقل ، ولكنها أكثر ليونة (الماجما Mmaga) ، مثلما ترتكز كتلة من الخشب فوق كمية من القار . ويختلف سمك الطبقة العليا من أكثر من أربعين كيلومترا تحت سلاسل الجبال ، إلى سمك لا يكاد يذكر في أحواض المحيطات . ويزداد الضغط والحرارة كلما تعمقنا تحت السطح الخارجي للأرض . والاعتقاد السائد أن باطن الأرض يتكون من مادة شديدة الكثافة ، في درجة حرارة عالية جدا . هذا ودرجة الحرارة عند قاعدة القشرة الأرضية لا عن ٧٠٠ م .

والانفجار البركاني يحدث عندما يتزايد الضغط في الماجما ، فتندفع المادة إلى أعلى ، مخترقة إحدى المناطق الضعيفة في القشرة ، حتى تصل إلى سطحها الخارجي .

وعندما تشرع الماجما في الخروج ، يخف الضغط الواقع عليها لدرجة تجعلها تنصهر ، وفي طريقها إلى الخارج ، قد تؤدي إلى انصهار الصخور المجاورة لها في القشرة الأرضية ، أو تنتشر فيما بين الطبقات التي تتكون منها تلك القشرة . وفي الوقت نفسه ، فإنها تنفث أبخرة وغازات تستطيع أن تندفع إلى أعلى بقوة انفجارية .

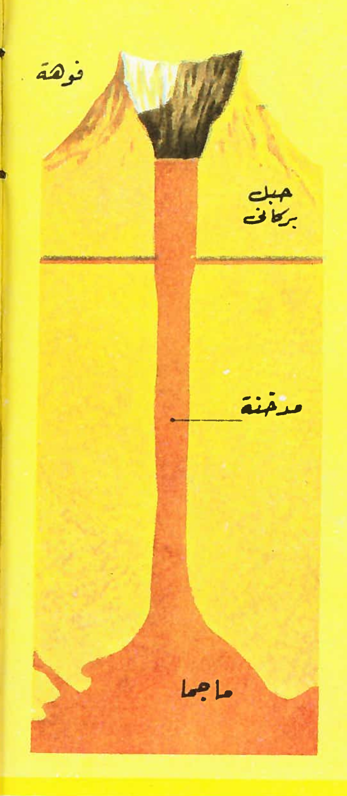
الصفة التشريحية للبركان

ترى في الرسم أسفل رسما تخطيطيا لمختلف أجزاء البركان . وتستخدم كلمة

منطقة الماجما السائلة وهي تحتوي على غازات تحولت إلى السيولة بفعل الضغط
بركان
مدخنة
ضغط
ضغط
القشرة الأرضية
ماجما صلبة

رسم توضيحي مبسط للقوى التي تتفاعل في إحداث الانفجار

« ماجما » للدلالة على المواد التي في أقصى العمق ، فهي إذن ليست مجرد صخور منصهرة ، كما أنها أيضا مشبعة بالغازات لدرجة التركيز ، وهذه الغازات تظل في حالة الذوبان ، إلى أن يخف الضغط الواقع عليها من أعلى ، فتأخذ في الانتشار ، وأحيانا يكون اندفاعها على شكل انفجار . ولذلك فإن المواد المنصهرة التي اندفعت إلى السطح (الحمم أو اللافا Lava) ، لا تحتوي إلا على القليل من الغازات الذائبة ، كما أنها أقل حركة .



الجبل البركاني ، وهو يتكون من تراكم الحمم ، وقد يكون مخروطي الشكل ، أو منبسطا ، وذلك عندما تنتشر الحمم في امتداد أفقي .

الفوهة Crater ، وهي الجزء الأخير من القناة التي شقتها الماجما لنفسها في طريقها إلى السطح ، وهي عادة عبارة عن فجوة تتراكم على حوافها الحمم المتجمدة .

المدخنة Chimney ، وهي الطريق الذي سلكته الماجما إلى السطح ، وهذا الطريق قد يكون مفردا أو متفرعا .

خزان الماجما ، ويقع عادة على مسافة حوالى ٣٢ كيلو مترا من سطح الأرض ، وعلى مثل هذا العمق ، تكون الماجما في درجة حرارة شديدة الارتفاع (أكثر من ١٣٠٠°م) .

حياة بركان

عندما نتحدث عن النشاط البركاني ، فإننا نقصد جميع الظواهر Phenomena التي تتصل بانطلاق مواد الماجما من باطن الأرض إلى سطحها . إن الفوران العنيف الذي ينجم عن انبعاث الحمم الساخنة والأتربة ، والغازات ، هو في العادة نهاية مرحلة

نشاط قد تشتمل على ثورات ، وانفجارات أصغر ، وهزات أرضية تكاد تكون مستمرة . والبركان الذى ثار فى الأزمنة الحديثة يقال عنه إنه بركان نشط **Active** ، ويبدو ، من واقع الثورانات التى أمكن تسجيلها على مدى فترة طويلة ، أنه لم يكن هناك ما يدل على ثوران بركان ڤيزوڤ قبل عام ٧٩ ميلادى ، عندما حدثت سلسلة من الهزات الأرضية ، كانت بمثابة إنذار بالثوران المفجع الذى دمر مدينتى بومپى **Pompeii** وهيركولانوم **Herculaneum** . وفى خلال الستة عشر قرنا التالية ، ثار بركان ڤيزوڤ عشر مرات فقط ، وكانت كل مرة تعقبها فترة هدوء طويلة ، إلى أن كان ثوران عام ١٦٣١ ، حين بدأ النشاط المستمر للبركان ، مع نشاط ذروة فى كل فترة تتراوح بين ١٠ و ٤٠ سنة ، وقد كانت آخر ثورانات الذروة لبركان ڤيزوڤ تلك التى حدثت فى عام ١٩٠٦ وفى عام ١٩٤٤ .

والثوران البركانى قد يتخذ عدة أشكال . فإذا كانت الماجما متماسكة ولزجة وتواجه عقبات كثيرة فى طريقها إلى أعلى ، فإن الغازات قد تندفع على هيئة انفجار يشبه ذلك الذى حدث فى جبل پيليه ، إذ تندفع الحمم إلى أعلى فى شكل حصوات ، أو صخور ، أو رماد ، أو جمرات ، وتظل تغطى وجه السماء وهى متساقطة لفترة ما بعد بدء الانفجار . وتعرف هذه المواد باسم الصخور النارية . أما إذا كانت الماجما على هيئة سائل سهل الانسياب ، فإن الأمر قد يقتصر على تصاعد الغازات التى بداخلها إلى السطح ، على شكل فقاعات مصحوبة ببعض الانفجارات العنيفة . وعندما تتصاعد الحمم ، فإنها قد تكسو الفوهة أو قد تخترق التشققات **Fissures** الموجودة فى جوانبها . وفى المراحل الأولى ، يمكن مشاهدة مناظر رائعة ، عبارة عن نافورات من الحمم ، تبدو أثناء الليل كأنها ستائر حمراء متوهجة من النيران . وبراكين جزر هاواى تتصرف بهذه الطريقة ، وترى إلى اليسار نافورة من الحمم فى هاواى .



ثورة بركان كيلاوا فى هاواى عام ١٩٥٥ ، ظل عمود هائل من الحمم يتصاعد طوال ١٢ يوما .

الأنواع المختلفة للبراكين

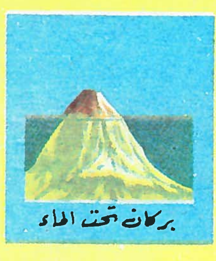
تنقسم البراكين إلى عدة أنواع حسب عدد فوهاتها ، وتباين أشكالها ، وهى موضحة فى الرسوم التالية :









النوع الڤيزوڤى : ويبدو أن لهذا النوع من البراكين نوعا واحدا من الثوران . فالحمم التى يقذفها ذات قوام لزج ، وفى أثناء الثوران قد تحدث انفجارات قوية . وللبركان الڤيزوڤى فوهة واسعة ، يقوم فى وسطها مخروط ثانوى مكون من الرماد البركانى .

براكين جبل إتنا : رهنا أيضا نجد فوهة رئيسية واسعة ، ولكن يتفرع من المدخنة عدد من الفروع المنفصلة ، وتحدث انفجارات من وقت لآخر ، عندما تفتح فتحة فى جانب المخروط نفسه بقوة اندفاع الحمم .

حقول فليجريان The Phlegrian Fields وهى منطقة فريدة تقع بالقرب من ڤيزوڤ ، وبها ما لا يقل عن ١٩ فوهة منفصلة ، منتشرة فى مساحة حوالى ٦٤ كيلومترا مربعا . وكثير من هذه الفوهات يلفظ غازات ، ولكن بعضها الآخر أصبح الآن بحيرات جميلة .

نوع هاواى The Hawaiian Type : ويلفظ هذا النوع من البراكين حمما متحركة ولكن فى هدوء . والفوهة هنا تتسع نتيجة انهيار جدرانها إلى الداخل ، وتسمى كالديرا **Caldera** ، وتمتلىء هذه الفوهة ببحيرة من الحمم التى تصدر فقاعات .

نمط جزر هاواى : تعتبر جزر هاواى جبالا بركانية ، قامت على ارتفاع حوالى ٤٥٠٠ متر فوق قاع المحيط ، ولا ترى منها سوى القمم . ويؤدى التبريد السريع للحمم تحت سطح البحر ، إلى حدوث ما يسمى بالوسائد الحممية .

أين توجد البراكين

من المعروف أن هناك ما يقرب من ٥٠٠ بركان نشط . وعلاوة على ذلك فهناك عدة آلاف من المخروطات البركانية ، تحتفظ بحالتها الأصلية كاملة ، ويجب علينا أن ندخلها فى اعتبارنا ، عندما نحدد توزيع البراكين الحديثة .

وتوجد معظم البراكين على طول الكتل الجبلية الحديثة ، المعروفة باسم الأحزمة النارية **Orogenic Belts** . ولذلك فإن كثيرا منها يوجد على حواف المحيط الهادى ، وقد أشار بعض الكتاب إلى هذه الظاهرة بقولهم إنها « الحزام النارى » للمحيط الهادى . ويمكن تتبع الثقوب البركانية على مسافات متناثرة على طول خط جبال الألب – الهمالايا ، كما أنها تتصل بخط الوديان التشققية الذى يمتد من الأردن إلى شرق أفريقيا .

والنشاط البركانى ، حيثما وجد ، يستغل الالتواءات التى تحدث فى القشرة الأرضية ، فعلى طول أكثر هذه الالتواءات عمقا – أحزمة الجبال الالتوائية والارتكازات العميقة – نجد معظم البراكين الحديثة فى العالم .

الفـــــراولـــــة

عندما نقطف الفراولة Strawberry، يتصور معظمنا أننا نقطف ثمرة النبات ، أما عالم النبات فيقول : كلا إن ما تقطفه ليس بالثمرة على الإطلاق ، وإنما هو تخت الزهرة Receptacle ، أى القاعدة المنتفخة للزهرة. ولاشك أن الفراولة ثمرة فى اللغة العادية الدارجة ، بيد أنه يجدر بنا أن نعرف أنها ثمرة من نوع خاص فى تركيبها ونموها .

أنـــواع الفـــراولة

هناك ثلاثة أنواع من الفراولة جديرة بالذكر . النوع الأول هو **الفراولة الصغيرة البرية** واسمها العلمى فراجاريا فسكا *Fragaria vesca* ، وهى نبات شائع الوجود فى الغابات ، وثمرتها شهية الطعم ، إلا أنها صغيرة الحجم ، مما يجعل جمع مل ء الكف منها أمرا شاقا (إننا نتكلم الآن عن الثمرة باللغة الدارجة ، وليس بلغة علم النبات).

والفراولة الجبلية Alpine Strawberry . وهى سلالة من فراجاريا فسكا ، تنمو على جبال جنوبى أوروبا ، وهى تستزرع أحيانا من أجل ثمارها . وهى نبات متسلق ، يستمر فى الإزهار والإثمار من شهر مايو حتى الخريف ، وثمرتها أكبر من ثمرة السلالة البريطانية البرية ، ولكنها رغم ذلك أصغر كثيراً من فراولة الحدائق .

وفراولة الحدائق Garden Strawberry نبات هجين Hybrid ، نشأ فى فرنسا فى القرن الثامن عشر ، نتيجة تزاوج بين نوعين أمريكيين ، وقد تحسنت صفاتها منذ ذلك الحين عن طريق الانتخاب Selection وانتج عدد كبير من السلالات . وتشير كلمة Strawberry إلى عادة الزراع فى وضع القش Straw حول النباتات ، كى يرفع الثمرة عن الأرض ، فيحتفظ بها نظيفة . على أنه ينبغى ألا يفوتك أنه رغم قدرة النباتات على التحمل ، فإن الأزهار لايمكنها مقاومة الصقيع . وعندما يكون هناك إنذار بصقيع أثناء إزهار النباتات ، فإنك يجب حينئذ أن تغطيها بملاءة. والفراولة عموما ، ثمرة ممتازة صحية ، ولو أن هناك بعض سيئ الحظ الذين لا يمكنهم تناولها . وتسبب الثمرة عند هؤلاء الأشخاص حكة قوية فى الجلد أو ارتيكاريا Urticaria ، وأيضا اضطرابات فى المعدة أحيانا .

سداة
كربلة
تخت
كأس وتحت كأس

مقطع فى زهرة فراولة



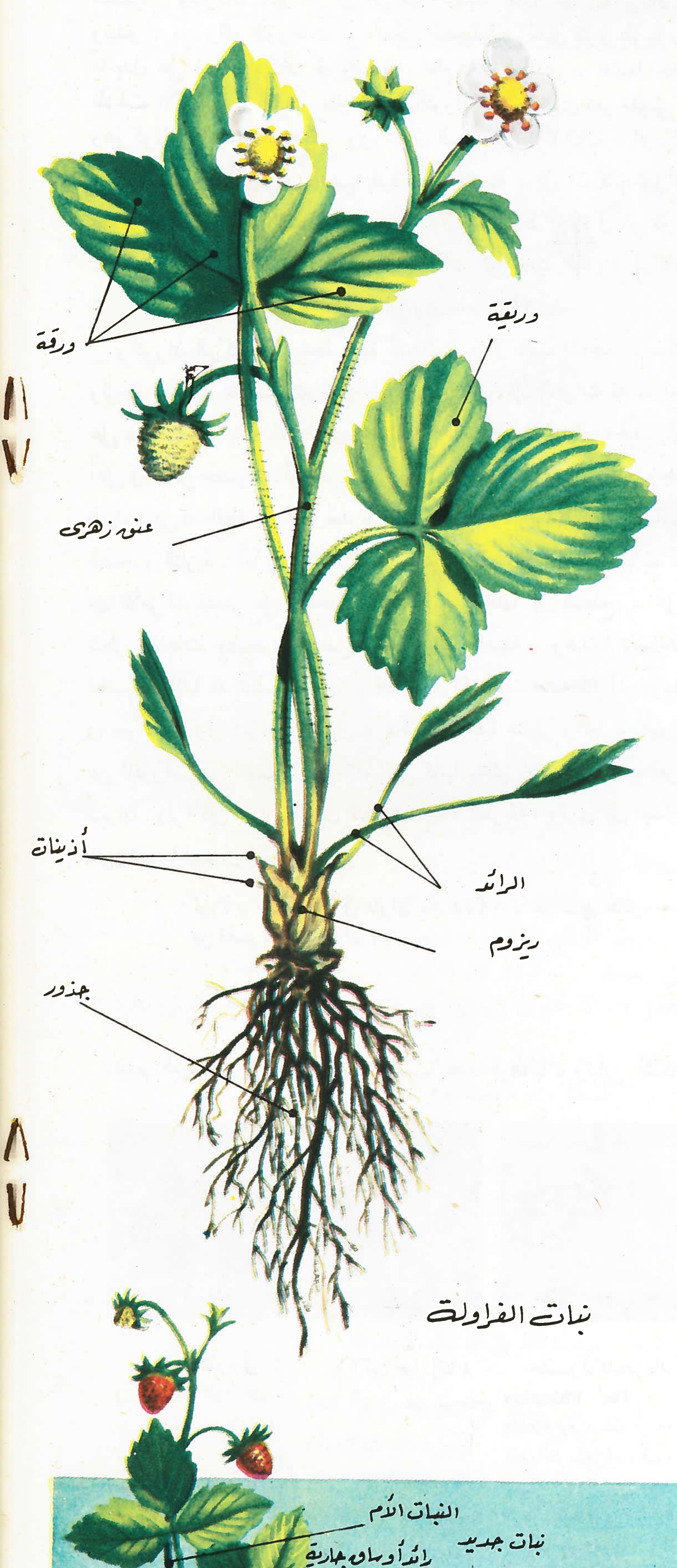
النـبـات

الفراولة نبات عشبى Herbaceous ، معمر Perennial ، ينتمى للفصيلة الوردية Rosaceae . والآن دعنا نلقى نظرة على الرسم الموجود على اليسار. إن الجذور ليفية Fibrous ، والساق لاتعلو فوق سطح الأرض ، ولذلك فهى تصنف على أنها ريزوم Rhizome ، وهو اصطلاح معناه ساق أرضية Underground Stem. ومن الريزوم تنمو الأوراق ، وأعناق الأزهار ، وكذا السيقان الرائدة Stolons أو الجارية Runners ، التى هى عبارة عن سيقان تزحف على سطح التربة . والأوراق من النوع الذى يوصف بأنه ثلاثى الوريقات Trifoliate ، لأن كل ورقة تتألف من ثلاثة أجزاء تسمى وريقات .

تويج
كأس
فوق كأس

الزهرة من أسفل

أما عن الزهرة ، فإنك ستشاهد من الرسم الموجود أعلاه أن الزهرة لها كأس Calyx، مكونة من خمس سيلات Sepals ، وكذا فوق كأس Epicalyx من خمس قنابات Bracts يبدو منظرها كما لو كانت كأساً إضافية ، وتويج Corolla من خمس بتلات Petals ، وعدة أسدية Stamens ، وكرابل Carpels ، محمولة كلها على الطرف المنتفخ لعنق الزهرة ، الذى يسمى التخت Receptacle . وهذا التخت هو الذى ينتفخ بعد الإخصاب ليكون ما نسميه الثمرة . غير أنه لابد من وجود ثمرة حقيقية True Fruit من وجهة النظر النباتية ، فأين هى ؟ والجواب هو أن كل بذرة من البذور الدقيقة Pips التى توجد على سطح ثمرة الفراولة ، عبارة عن ثمرة وحيدة البذرة One-seeded ، من النوع الذى نعرفه باسم الفقيرة Achene.



نبات الفراولة

تكاثر الفراولة

النبات الأم
نبات جديد
رائد أو ساق جارية

ترسل السيقان الجارية الزاحفة فوق سطح الأرض جذورا إلى أسفل فى نقط خاصة تسمى العقد Nodes ، ثم تنمو الأوراق إلى أعلى من نفس الأماكن ، وبذلك تتكون نباتات صغيرة . وحينما يستتب الأمر للنبات الصغير ، يمكن قطع الساق الجارية ، وبعد ذلك يمكن شتل Transplant النبات الجديد إلى حيث نريد .

يعطى هذان الرسمان فكرة عن فارق الحجم بين فراولة الجبال ، وفراولة الحدائق .



تعايش بين النبات والحيوان

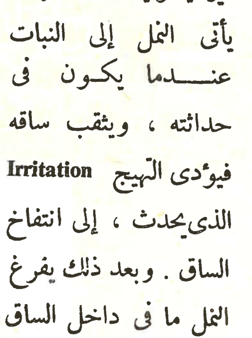
تكون بعض الأزهار مهيأة بحيث يمكن إخصابها بوساطة أنواع معينة من الحشرات، التى تزورها لجمع الرحيق Nectar . ويعتبر هذا نوعا من الارتباط أو التعايش Association بين النباتات والحيوانات يستفيد منه الطرفان . غير أنه ، فى الواقع ، ليس سوى ارتباط عابر Passing أو مؤقت Temporary ، فالحشرة تزور النبات ولا تحدث المعايشة فى غير موسم الإزهار . إلا أنه توجد أنواع من التحالف Alliances أكثر دواما بين النباتات والحيوانات ، يصفها البيولوجيون بأنها حالات من التعايش المشترك Symbiosis (وهى تعنى ببساطة التعايش سويا Living Together ، مشتقة من اليونانية Sym بمعنى معا و Bios بمعنى حياة) . وتوجد ثلاثة أنواع من التعايش المشترك : (١) نوع يستفيد فيه كلا الطرفين ؛ (٢) نوع يكون فيه الغذاء أو المكان مشتركا دون منفعة (أو ضرر) ظاهرية لكلا الطرفين ، (٣) التطفل Parasitism حيث يعانى أحد الشريكين ، الذى يسمى العائل Host ضررا من الشريك الآخر .



عفصات الترتر المتكونة على أوراق البلوط ، بفعل يرقات زنبور دقيق .

وبذلك يتم تأمين النبات ضد هجمات الحيوانات آكلة النبات Herbivorous ، ويحصل النمل فى مقابل ذلك على مكان أمين لبناء عشه . ولو أنك فحصت أوراق شجرة بلوط Oak فى الصيف ، فإنك كثيرا ما تجد ورقة التصقت بها نموات Growths تشبه الأطباق . وتعرف هذه النموات باسم عفصات الترتر Spangle Galls (العفصة ورم يصيب النبات نتيجة إصابته بحشرة أو فطر) ، وهى نتيجة تحالف غريب بين الشجرة وحشرة دقيقة جدا . ذلك أن أنثى زنبور العفص Gall Wasp تضع بيضها داخل نسيج الورقة ، فتفقس البيضات لتعطى يرقات Larvae ميكروسكوبية الحجم أو دويدات Maggots ، يؤدى وجودها إلى نمو الورقة نموا غير طبيعى ، تنتج عنه العفصة Gall . وتعيش اليرقة وتتغذى داخلها . وفى الخريف تسقط العفصات الصغيرة المفلطحة على الأرض ، حيث تقضى الشتاء ، ثم يفقس منها جيل جديد من الزنابير فى الربيع . وهذا مثال للتطفل ، لأنه مما لاشك فيه أن شجرة البلوط لاتستفيد منه شيئا . وتوجد العفصات على نباتات وأشجار أخرى كثيرة غير البلوط ، وتكون ناتجة عن عدة أنواع من الحشرات ، والسوس Mites ، والبكتيريا Bacteria ، وأنواع من الفطر Fungus .

والنبات الغريب الموضح على اليمين هو نبات ميرميكوديا Myrmecodia . يأتى النمل إلى النبات عندما يكون فى حداثته ، ويثقب ساقه فيؤدى التهيج Irritation الذى يحدث ، إلى انتفاخ الساق . وبعد ذلك يفرغ النمل ما فى داخل الساق وينشىء عشا فيها ، وهى عملية لا تؤثر فى سلامة النبات أو نموه إطلاقا . وإذا لمس شىء ما العش ، فإن النمل تخرج جحافله ، تستخدم إبرها ، فى الدفاع عن بيتها ،



ميرميكوديا ، نبات استوائى يأوى النمل داخل ساقه .

ضرورى للحياة

وثمة مثال نموذجى للتعايش المشترك ، وهو تعايش بين الحيوان الصغير الذى يعيش فى الماء العذب والذى يعرف باسم كلوروهيدرا فيريديسيماس *Chlorohydra viridissimus* ، والنباتات الطحلبية Algae الدقيقة التى تعيش فى أنسجته . إذ تمتص الطحالب الإفرازات النيرو جينية للحيوان وتتغذى عليها ، وهى كذلك تمتص ثانى أكسيد الكربون ، الذى تحوله عن طريق البناء الضوئى Photosynthesis إلى أوكسيجين وكربوهيدرات Carbohydrates ، وهى مواد لازمة لبقاء الحيوان حيا .



الهضم .. بمساعدة البكتريا

إننا عادة ما نتصور البكتيريا كأعداء لنا ، على الأقل ما يعيش منها داخل أجسامنا . حقيقة أن كثيرا منها تسبب أمراضا خطيرة ، إلا أن بعضها ، الذى يقطن فى أمعاء الحيوانات ، يلعب دورا مفيدا أو أساسيا فى حياة عائلها . إن معظم غذاء الحيوانات آكلة العشب Herbivorous يتألف من مادة تسمى السليولوز Cellulose ، الذى يكون جدر خلايا النباتات . وهو مادة عسرة الهضم جدا ، ولا يمكن لمعدة الحيوان إذابته . غير أنه يتحلل بوساطة بكتيريا خاصة تعيش فى أمعاء الحيوان ، مما يمكنه من الحصول على الفائدة الكاملة من الغذاء . ويوجد هذا النوع من التعايش فى كثير من الثدييات Mammals آكلة العشب كالماشية والأغنام ، وكذلك بين الحشرات التى تعتبر مثلا جيدا آخر للتعايش .

وهناك أيضاً بكتيريا نافعة ؛ تعرف إجمالا بالفلورا المعوية Intestinal Flora ، تعيش فى أمعاء الإنسان . وهى تتغذى على غذائنا الذى هضم جزئيا ، وتنتج ، أثناء قيامها بعملياتها الحيوية ، فيتامينات نمتصها ، وتعتبر ضرورية لصحتنا .



كثير من أسماك البحار العميقة لها أعضاء مضيئة Luminous Organs . وكثيرا ما ينتج هذا المنظر ليس عن طريق الأسماك ذاتها ، وإنما بوساطة بكتيريا مضيئة (كائنات دقيقة تعرف أحيانا بالميكروبات) ، تعيش فى أنسجتها .

الملك ألفرد والدانيون



جاء أول الغزاة الدانيين فى مجموعات صغيرة بقصد السلب والنهب ، وترى هنا الأنجلو ساكسون وهم يردون الدانيين على أعقابهم بنجاح .

« فى عام ٧٩٥م. ، بدت نذر الشر فى سماء نورثمبريا Northumbria ، وساد الرعب قلوب الأهالى المساكين ، فقد كانت هناك ومضات غير عادية من البرق، وشوهدت بعض التنينات الشرسة وهى تطير فى الهواء . وقد أعقبت هذه النذر مجاعة شديدة ، وبعدها بقليل وفى نفس العام ، كانت إغارات الوثنيين قد تسببت فى دمار الكنيسة المقدسة فى لندزفارن Lindisfarne عن طريق النهب والتذبيح » .

كان عام ٧٩٥ ذاك ، بعد وفاة بيدا Bede المؤرخ العظيم بستين عاما ، وقبل وفاة أوفا Offa ، ملك مرسيه Mercia بعام واحد . كان أوفا هو ذلك الرجل الذى بذل الكثير فى سبيل تحقيق بعض الوحدة بين ممالك الأنجلو ساكسون المتحاربة ، وكان دير لندزفارن الذى يقع على جزيرة صغيرة بالقرب من شاطئ نورثمبريا ، قد أنشأه سانت إيدان St Aidan منذ ما يزيد على قرن ونصف ، قبل أن يتعرض لهذا المصير المؤلم الذى جاء وصفه أعلاه ، فى عبارات صحيفة أنجلو ساكسون كرونيكل .

كان الدير Monastery مركزا للنشاط الذى كان ينطلق نحو شمال انجلترا لحث الأهالى على اعتناق المسيحية ، ولم يكن من الأماكن المحصنة . وكان الشاطئ الشرقى لانجلترا قد ظل لفترة طويلة ينعم بالهدوء من إغارات الغزاة . وبالنسبة لإيدان Aidan وأصدقائه ، كان لهذا الشاطئ ميزة مزدوجة ، فهو آمن ، وفى الوقت نفسه بعيد عن العالم . وفجأة وبدون سابق إنذار ، أغار عليه الوثنيون ، يعملون النهب والسلب فى نفائس الدير ومقدساته ، ويحملون معهم الثروات والكنوز إلى موطنهم عبر البحر .

الوثنيون الدانيون

كانت تلك هى الطريقة التى عرفت بها الشعوب الإسكندناڤية لأول مرة فى تاريخ انجلترا . كان مجيئهم فى بداية الأمر للنهب، متلصصين فى أرجاء الشواطئ المنخفضة بشرق انجلترا إلى روافد النهر . كما أنهم أبحروا بسفنهم حول صخور شمال سكتلند ، وهى منطقة ساحلية قريبة الشبه بشواطئ النرويج ، للإغارة هناك على دير آخر فى جزيرة أخرى ، ذلك هو دير أيونا Iona . كانوا يجيئون صيفا ، ويعودون فى الخريف ، قبل أن يحل موسم العواصف الشتوية ، مخلفين وراءهم أطلال المنازل الريفية والدخان يتصاعد منها ، ومحاريب الكنائس وقد تعرت من تحفها ، هذا فضلا عن جثث القتلى .



ألفرد ، ملك انجلترا ٨٤٩ – ٨٩٩ .

أما الأنجلو ساكسون فلم يبدوا سوى قدر ضئيل من المقاومة المنظمة ، وذلك لانغماسهم فى مشاحناتهم الخاصة والحروب المحلية التى أعقبت وفاة أوفا العظيم فى عام ٧٩٦ . وهكذا وجد الغزاة أنفسهم فى حل من التجول كيفما شاءوا ، يلقون الرعب فى القلوب أينما حلوا . ومع ذلك فإن مرسيه ظلت تحارب ساكسون الغربية West Saxon ، من أجل غلبة لم تكن لتجدى المنتصرين شيئا ، إذا ما قرر الوثنيون التحول من الإغارات المتفرقة إلى الغزو المركز .

وفى عام ٨٣٥ ، قامت قوة كبيرة من الدانيين (الدانماركيين Danes) بغارة مخططة على جزيرة شيبى Sheppey ، وتقع عند ملتقى نهر الميدواى Medway بنهر التيمس Thames . ومنذ ذلك الوقت ، أخذ الدانيون يستقرون فى الأماكن التى يهبطون بها طيلة فصل الشتاء.

لم يكن أحد ليعرف أين ستقع الضربة التالية من الدانيين . وفى العام التالى كانت أهدافهم تمتد من مستنقعات رومنى Romney فى مقاطعة كنت Kent ، إلى إيست أنجليا East Anglia ولندسى Lindsey ، ولم يكن الدفاع المحلى ليتجاوز أقصى ما كان باستطاعة أى عمدة يتمتع بالشجاعة وحسن التدبير أن يعده إعدادا سريعا . ومع ذلك لم يتقدم أحد لينظم أى مقاومة متحدة . وقد بدا فى ذلك الوقت أنه من المحتمل ، إذا ما قرر الدانيون أخيرا أن يأتوا بجيش كبير ، وأن يقيموا إقامة دائمة فى انجلترا ، أنه لن يكون هناك ما يمنعهم من الاستيلاء على البلاد بأكملها.

الجيش العظيم

جاءت الضربة المتوقعة فى عام ٨٦٥ ، وقد كتبت صحيفة أنجلو ساكسون تقول : « فى هذا العام ، وفد على انجلترا وافد عظيم ، وأقام معسكره الشتوى فى إيست أنجليا ، وهناك قدمت له الخيول ، وعقد معه عقد سلام » .

كان الأنجلو ساكسون يطلقون على هذا الوافد اسم «ميكل هير *Micel here*» . أما فى التاريخ فيعرف عادة باسم « الجيش العظيم » . وكان فى تلك الفترة قد جاء ليبقى . كان هذا الجيش بقيادة اثنين من مشاهير المحاربين وهما إيڤار الملقب «بالخالى من العظام «Ivar the Boneless» وهالفدان Halfdan ، وقد ظل هذا الجيش يجوب أنحاء انجلترا الشرقية ، صعودا وهبوطا ، طيلة خمسة عشر عاما فى سلسلة من المعارك النظامية .

هناك كثير من الأساطير التى نسجت حول رسم ألفرد ، ومن أشهر الروايات فى هذا الصدد قصة الملك ألفرد والفطائر . فبينما كان ألفرد يحارب الدانيين ، لجأ إلى كوخ إحدى الفلاحات للاستراحة . وقد طلبت منه المرأة أن يلاحظ الفطائر التى كانت فى الفرن ، ثم غادرت الكوخ لبعض شأنها . وعند عودتها ، كان الملك يغط فى النوم ، فى حين احترقت الفطائر . وهنا ثارت المرأة ، وبينما هى توبخ الملك ، دخل أحد أتباعه وحياه التحية الملكية . وقد شعرت المرأة عند ذلك بالحرج الشديد ، فى حين اعتبر ألفرد أن الموضوع كله لم يكن سوى نكتة لطيفة .

وقد توجه الجيش العظيم أولا إلى يورك ، التى استولى عليها فى شهر نوفمبر عام ٨٦٦ . كان النورثمبريون فى ذلك الوقت فى خضم إحدى حروبهم الأهلية ، وبلغ بهم الضعف حدا لم يتمكنوا معه من إبداء مقاومة تذكر .

زحف الجيش العظيم بعد ذلك إلى مرسيه متجنبا ، بقدر كبير من ضبط النفس ، محاولة الأهالى استدراجه إلى معركة مكشوفة .

وفى عام ٨٦٩، يمم الجيش العظيم شطر إيست أنجليا مرة ثانية ، وقتل ملكها إدموند ، الذى خلدت ذكراه بعد ذلك كشهيد، وأطلق اسمه على بورى سانت إدموندز **Bury St Edmunds** فى سافولك **Suffolk** . وفى عام ٨٧٠، تحرك الجيش العظيم لمواجهة ويسكس **Wessex** ، واتخذ لنفسه قاعدة فى وادى التيمس عند ريدنج **Reading** .

ألفرد ، ملك ويسكس

وأخيرا حان الوقت الذى كان على الجيش العظيم أن يوقف فيه تقدمه . فى مراعى بيركشاير **Berkshire** الواقعة إلى الغرب من ريدنج ، تقابل مع جيش من الساكسونيين الغربيين واضطر للقتال . وقد هزم الدانيون فى هذه المعركة ، وأحرز الساكسونيون الغربيون النصر بقيادة ملكهم أيثلرد **Aethelred** وأخيه ألفرد **Alfred** . وبعد هذه المعركة بوقت قصير ، اعتلى ألفرد عرش ويسكس خلفا لأخيه . وكان مقدرا منذ تلك اللحظة أن يقضى كل حياته فى معارك لا تتوقف ضد الغزاة الإسكندنافيين . وقد أظهرت تلك المعارك أن ألفرد كان واحدا من أعظم الجنود الذين أنجبتهم تلك الجزيرة .

كانت موارد ألفرد فى بداية الأمر ضئيلة ، وسرعان ما اضطر للتراجع إلى المناطق الأكثر خشونة من مملكته ، إلى الغرب من غابة سلوود العظيمة **Selwood**. وفى عام ٨٧٨، التجأ مع عدد قليل من أنصاره المخلصين إلى جزيرة أثلنى **Athelney** ، فى وسط مستنقعات سومرست **Somerset** ، بينما كان جزء من الجيش العظيم بقيادة جوثروم **Guthrum** يقبع مترقبا فرصة الانقضاض عليه عند قاعدته فى تشيبنهام **Chippenham** فى ويلتشاير **Wiltshire** .

وفى ذلك الوقت ، كانت معظم ممالك انجلترا ، فيما عدا ويسكس ومرسيه الغربية ، قد سقطت فى أيدى الدانيين ، ولابد أن معظم الإنجليز كانوا يعتقدون أن مملكة ألفرد هى الأخرى لابد أن تلاقى نفس المصير . إلا أن ألفرد لم يفقد إيمانه إطلاقا . فى نفس ذلك العام (٨٧٨) ، خرج ألفرد من مكمنه فى المستنقعات ، وجمع أنصاره من هامپشاير **Hampshire** وويلتشاير ، وأجبر الدانيين على الاشتباك معه عند إيدنجتون **Edington** ، على بعد ٢٤ كيلومترا جنوب تشيبنام ، وهناك ألحق بهم هزيمة منكرة . « وبعد ذلك قدم له الدانيون رهائن وأقساما غليظة على أنهم سيرحلون عن مملكته ، واعدين ، فضلا عن ذلك ، أن يتلقى ملكهم تعميده فى الكنيسة ، وهو وعد قاموا بالوفاء به » .

وهكذا انتصر ألفرد . وفيما بعد عقد هو وجوثروم معاهدة بمقتضاها جعل الحد الفاصل بين إقليميهما ، الطريق الرومانى القديم المعروف باسم شارع واتلنج **Watling** ، وإلى الشرق من هذا الطريق، كانت الأراضى التى عرفت فيما بعد باسم دينلو **Danelaw** . وإلى الغرب منه تقع ويسكس ومرسيه الإنجليزية .

وهكذا ، فإن الدانيين فى الواقع لم يسيطروا على انجلترا سيطرة كاملة فى أى وقت . غير أنهم بقوا مستقرين فى الأراضى التى سمح لهم بها ، وإلى يومنا هذا نجد أسماء عديدة لأماكن فى منطقة دينلو القديمة تدل على إقامتهم المستديمة هناك . أما فيما يختص بالإنجليز ، ففى وقت الشدة ذاك ، وجدوا لأنفسهم زعيما جديدا فى شخص ملك ويسكس .

وقد توفى ألفرد فى عام ٨٩٩، أى بعد انتصاره العظيم بواحد وعشرين عاما ، وخلال كل ذلك الزمن ، لم يجد ألفرد الكثير من الراحة ، إذ أنه ظل مشتبكا فى صراع دائم مع القوات الدانية . غير أن خلفاءه تحولوا من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم ، وما أن حل أول النصف الثانى من القرن العاشر ، حتى كانوا قد سيطروا على دينلو بأكملها ، ووطدوا حكم ويسكس وحدها على معظم أنحاء انجلترا .



كان ألفرد شديد الاهتمام بالتعليم ، وكان ذلك من الأسباب التى جعلت منه ملكا عظيما . وتراه فى هذه الصورة وهو يعلم أبناء النبلاء فى مدرسة القصر .

تاليران ، أمير السياسة وسعة الحيلة

صاح الكونت دى تاليران وهو يطل من النافذة ويراقب ابنه وهو يلعب فى الحديقة : «ياإلهى، إنه يعرج !». كان عمر شارل — موريس الصغير لا يكاد يتجاوز الرابعة. وكان فى طريق الإبلال من آثار سقطة عنيفة، وقد أمكنه بمهارة فائقة، وضبط نفس، أن يخفى ما أصابه منها من عرج عن ذويه طيلة عدة أيام. لقد ولد شارل — موريس موهوبا بالقدرة على الإضحاك، وبذكاء لامع سابق لأوانه، وقد تمكن على مر الأعوام أن ينمى مواهبه، ويستخدمها فى مجال السياسة. كانت عبقريته الحقيقية تكمن فى القدرة على تدبير المكائد، مقرونة بالتحلل الكامل من كل قانون أخلاقى. وقد ساعدته هذه العبقرية الشاذة، فضلا عن الثراء والجاه، على أن يؤثر فى مصير فرنسا، بل وفى مصير أوروبا كلها.



شارل موريس دى تاليران پيريجورد، أمير بنيڤان. وسليل أسرة من أقدم الأسر الفرنسية، أسرة الكونتات أمراء پيريجورد.

قس سان دنيس

كانت إرادة والديه، والنصائح المتكررة لعمه وولى أمره، الذى كان مساعدا لرئيس أساقفة ريمس، كافية لإجبار شارل — موريس على قبول الانخراط فى سلك الكهنوت. كان الشاب الذى سيصبح قس أبراشيه پيريجورد Périgord قد أتم دراسته بجامعة السوربون، وحصل على شهادة التخرج، ولكنه لم يكن يشعر بأى اهتمام بالمسائل الدينية. كان اهتمامه، على العكس، يتركز فى شعوره بأنه يجب أن يتمتع، على حد قوله : « بمباهج الحياة ».

وفى يناير ١٧٨٩، أى قبل اندلاع الثورة ببضعة شهور، كان الكونت دى تاليران Comte de Talleyrand وهو على فراش الموت، يشعر بالقلق على مستقبل وريثه الطائش، فحاول أن يوطد مركزه، ونجح فى تعيينه أسقفا لأوتان Autun .

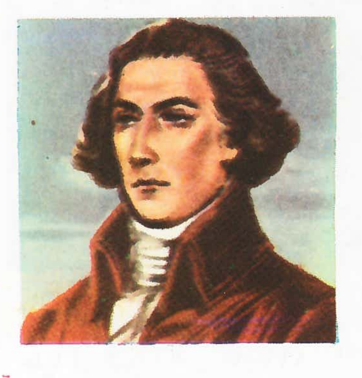
أسقف أوتان والثورة

لم يكن اهتمام الأسقف الجديد بالشئون الدينية مما يذكر إلى جانب اهتمامه بالشئون السياسية. وقد أدرك قيمة الدور الذى يمكن أن يلعبه باستغلال وظيفته الكهنوتية، فعمل على أن ينتخب نائبا عن رجال الدين فى مجلس طبقات الأمة عن دائرة أوتان، وبذلك ترك الأسقفية نهائيا، ولم يكن قد مضى على إشغاله لها سوى شهر واحد.

ومنذ تلك اللحظة أخذ يشعر بقرب هبوب أعاصير الثورة، فهو لا يتردد فى أن يكون داعيا للأفكار الجديدة. وقد تمكن بصفته عضوا فى الجمعية التأسيسية من أن يشترك فى احتفالات الوحدة فى ١٤ يوليو ١٧٩٠. واستمر تاليران فى هذا المنهاج، فأخذ يدبر المكائد فى صالح تأميم ممتلكات رجال الدين.

السفير العاثر الحظ

بالرغم من الخدمات العديدة التى أداها تاليران للعهد الجديد، فإنه كان يفكر فى قرارة نفسه بأن الحكمة تقتضيه أن يكون دائما على استعداد للنجاة. وفى هذا السبيل تمكن من أن يحصل على تكليف له بالوساطة لدى انجلترا، على أساس أن يحقق التحالف معها، أو على الأقل ليضمن عدم تدخلها فى الشئون الفرنسية. وقد عبر المانش ثلاث مرات ليواجه بالفشل فى كل مرة. إذ كانت الحكومة البريطانية تحجم عن قبول وساطة ذلك الثائر الحديث، ومن جهة أخرى فإن المهاجرين الفرنسيين عملوا على تشجيع الحكومة البريطانية على رفض المفاوضة مع رجل لا يحظى بتقديرهم.



وليم پت

وهنا يجد السفير العاثر الحظ أن مكائده قد ردت إلى نحره، وأصبح منبوذا من كلا الطرفين. فقد استبعده وليم پت William Pitt من انجلترا، ونفاه الفرنسيون من فرنسا، فلم يجد أمامه سوى الإبحار إلى أمريكا على الباخرة « وليم پن ». وبعد أن نجا بأعجوبة من الأعاصير أثناء الرحلة، وصل إلى فيلادلفيا فى شهر فبراير ١٧٩٤، وبقى هناك عامين، وجد نفسه خلالهما عاجزا عن التأثير المباشر فى السياسة الأوروبية، فكرس كل وقته لإعادة تكوين حياته. وقد ظل على علم بمجرى الحوادث فى فرنسا، عن طريق التراسل المنتظم مع مدام دى ستال Madame de Staël ، إلى أن أخطرته فى عام ١٧٩٦ بأنها نجحت فى استبعاد اسمه من قوائم المهاجرين، وأن الوقت قد أصبح ملائما لعودته. وما أن وصل إلى باريس حتى كان نفوذ مدام دى ستال وتأثيرها على بارا Barras فى حكومة الإدارة، سببا فى تعيينه وزيرا للشئون الخارجية فى يوليو ١٧٩٧.

أمير بنيڤان والإمبراطور

لقد صرح ناپليون فى عام ١٨١٢ أثناء وجوده فى كولنكورت Caulaincourt بأن « تاليران هو أحد الذين أسهموا بقدر كبير فى إرساء قواعد دولتى »، وهذا صحيح. فبعد أن عين وزيرا فى حكومة الإدارة، لم يكن أمام « الشيطان الأعرج »، كما كان يدعوه أعداؤه، إلا العمل على سرعة إسقاطها. وفى هذا السبيل، أخذ يوطد علاقاته مع بوناپرت، الجنرال الشاب، الذى أخذت شعبيته فى التصاعد، ويعد للانقلاب. وقد كان الثمن الذى حصل عليه تاليران من هذه المؤامرة فى صبيحة اليوم الثامن عشر من شهر الثورة بروميير، هو وزارة الشئون الخارجية.



ناپليون الأول

وسرعان ماتولد بين ناپليون، الغازى، وتاليران الذى كان يعارض التوسع الإقليمى «هذا الاغتصاب للسلطة وللمهارات» نوع من التعاطف القائم على التقدير المتبادل. وقد أصبح الوزير، نتيجة للمكاسب التى ترتبت على معاهدات صلح لونڤيل Lunéville، وأميان Amiens، وپرسبورج Presbourg هو المنفذ لرغبات الإمبراطور. وفى عام ١٨٠٤، عين كبيرا للأمناء، ثم أميرا لبنيڤان Bénévent، وأخيرا ناخباأعظم. ولكن كل ذلك لم يمنعه، كما كان دأبه دائما، من أن يحاول التنبؤ بالمستقبل، فنجده ينتهز فرصة مؤتمر إرفورت Erfurt الذى عقد بين ناپليون واسكندر الأول، لكى يستعرض مع القيصر احتمال انهيار الإمبراطورية، وبذلك كسب لنفسه عطفا لم يكن ليعدم فائدته.

وفى ٢٨ يوليو ١٨٠٩، علم ناپليون بالمؤامرة التى يدبرها تاليران بالاشتراك مع فوشيه Fouché، فثار غضبه ثورة جامحة، غير أن ناپليون بعد أن هدأت ثورة غضبه، وعاد للتفكير فى أن مثل هذا الخائن قد يكون ذا نفع له، اكتفى فى عقابه بعزله من منصب كبير الأمناء.



فوشيه

وهنا يبدأ تاليران فى انتظار ساعته ويستعد لها، وذلك بالاتصال كتابة بالرجل الذى كان مقدرا أن يصبح لويس الثامن عشر.

عودة آل بوربون

ما أن سقطت الإمبراطورية، حتى كان تاليران قد استنفد ثمار خيانته. فى ٣١ مارس ١٨١٤، قام باستقبال اسكندر الأول فى مسكنه بشارع سان فلورنتين. وهناك تمكن من إقناعه بالتوقيع على تصريح، سبق إعداده، ينص فيه بوضوح على أن

عودة لويس الثامن عشر ، هى الحل الوحيد لإقامة حكومة شرعية فى فرنسا .

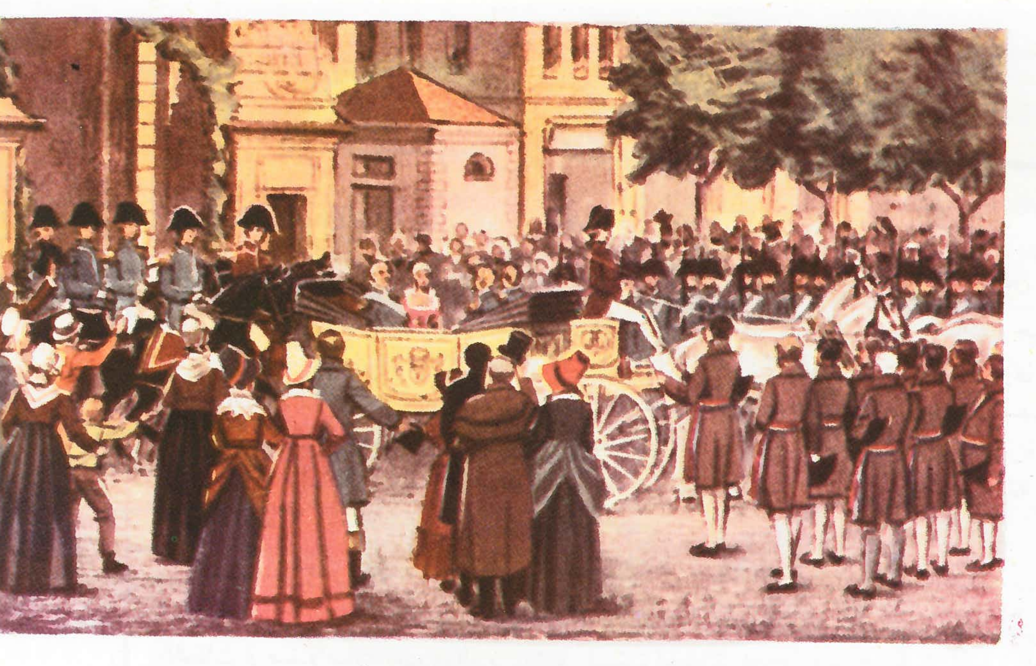
وقد صرح تاليران للقيصر قائلا : « إن الجمهورية تعتبر استحالة ، أما الوصاية على العرش — برنادوت — فليست إلا مكيدة . وآل بوربون هم الأصل » .

وفى ٢٣ أبريل ، وكان تاليران على رأس الحكومة المؤقتة ، تمكن من الحصول ، وعلى وجه السرعة ، من الكونت دارتوا d'Artois على توقيعه على اتفاقية الهدنة . والكونت دارتوا هو شقيق الملك الذى كان لا يزال غائبا .

وفى ٣١ مايو ١٨١٤ ، عين لويس الثامن عشر، تاليران ، فى منصب وزير الشئون الخارجية ومنحه لقب أمير .

وفى معاهدة باريس التى أدت إلى عودة فرنسا المهزومة إلى حدود يناير ١٧٩٢، استطاع الوزير، ولو لمرة واحدة فى حياته ، أن يظل مخلصا لمبادئه : « يجب أن تظل فرنسا قابعة فى حدود إمكانياتها الخاصة . إن ذلك هو ما يقضى به ، مجدها ، وعدالتها ، وحكمتها ومصالحها » .

أما أعظم أعمال تاليران ، فهو الدور الذى قام به فى مؤتمر ڤيينا . وقد استخدم نفس الحجج التى كان الحلفاء يستخدمونها منذ ١٥ عاما ضد نابليون الأول ، وذلك بإلغائه للتحالف الذى كان سببا فى دمار فرنسا . وفى ٣ يناير ١٨١٥ ، عقدت معاهدة تحالف بين فرنسا وانجلترا والنمسا ، وقد أدت إلى الحد من مغالاة المنتصرين بدرجة واضحة .



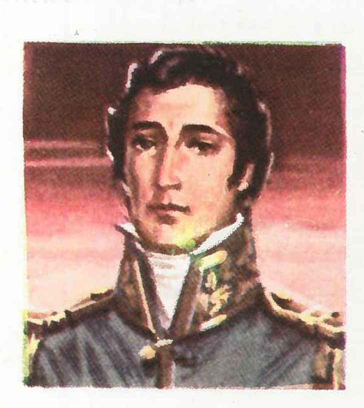
دخول لويس الثامن عشر إلى فرنسا عام ١٨١٥

اعتبره الضمان الأقوى لسعادة الأمتين ولسلام العالم » .

وفى ذلك الوقت ، كان دوق ويلنجتون Duke of Wellington صديق تاليران منذ مؤتمر ڤيينا ، رئيسا للوزارة ، فاستقبل السفير استقبالا طيبا ، وكانت تلك لفتة طيبة لعبت دورا فى صالح فرنسا ، وهى فى موقف تحتاج فيه لكل عطف ، وذلك هو تسوية المشكلة البلچيكية تسوية مرضية .

كان لويس — فيليب يجد نفسه فى طريق مسدود . كان الثوريون البلچيكيون ، الذين قاموا ضد السيطرة الهولندية ، قد استنجدوا بفرنسا لمساعدتهم فى استعادة استقلال بلادهم ، وكان الرأى العام فى فرنسا يؤيد تأييدا قويا فكرة التدخل فى بلچيكا . أما الملك فقد رأى أنه إذا لم يستجب لاتجاهات الرأى العام ، فليس أمامه سوى النزول عن العرش ، وبذلك يلقى بفرنسا فى خضم الفوضى ، ومن جهة أخرى ، فإن التدخل الفرنسى فى بلچيكا يعتبر تحدياً للحلف المقدس ، ويهدد بخطر الحرب .

وهنا برزت مهارة تاليران وسعة حيلته ، فى محاولته اجتذاب انجلترا للموافقة على استقلال بلچيكا . وفى هذا السبيل استخدم فكرة مبدأ السيادة الوطنية ، وهى الفكرة التى سبق أن نجح فى استخدامها ، وهى تتلخص فى أنه : « لما الملكية فى انجلترا وفى فرنسا قد قامتا على الإرادة الوطنية ، فمن العدل أن تقوما بمساعدة بلچيكا فى نفس السبيل . فبدون انجلترا ، لا يمكن أن يحدث تحالف ، وبالتالى فلا حرب . وفى هذه الحالة فإن لويس — فيليب يستطيع أن يقوم بمحاولة التدخل المحدود فى بلچيكا » . وفى ٤ نوفبر ، عقد فى لندن مؤتمر برئاسة ولنجتون ، وفى نفس اليوم قرر المؤتمر فرض الهدنة . وفى ٢٠ ديسمبر أعلن استقلال بلچيكا . وكان ذلك ثمرة التحالف الفرنسى الإنجليزى ضد هولندا .



دوق ولنجتون

تاليران وآل أورليانز

بعد انتهاء مؤتمر ڤيينا ، لم يلعب تاليران سوى دور ثانوى مدة حكم كل من لويس الثامن عشر وشارل العاشر . ولكننا نجده يدبر أموره فى الظلام ، مرة أخرى ، فى انتظار تغييرات جذرية . كانت ثورة ١٨٣٠ بالنسبة له فرصة رائعة للتحول .



شارل العاشر

أخذ تاليران يتلاعب بالأفكار ، وتمكن من أن يقنع العالم بأنه لاشىء يعدل قيام ملكية شعبية ، بعد أن فشلت الملكية ذات الحق الإلهى ، وكانت انجلترا قد قدمت للعالم منذ وقت طويل مثلا حيا على صحة هذا الرأى . فلماذا لا تحذو فرنسا حذوها ؟ الواقع أن ذلك هو ما حدث فعلا ، بارتقاء لويس فيليب العرش .

وما أن أتم تاليران إسهامه فى تثبيت عرش آل أورليانز ، حتى تولى منصب السفير لبلاده فى انجلترا طيلة الفترة من ١٨٣٠ إلى ١٨٣٤ ، وأخيرا وجد أنه يستطيع تحقيق حلمه القديم فى إقامة تحالف بين البلدين .

وقد كتب تاليران فى مذكراته يقول : « منذ ست وثلاثين سنة ، كنت قد غادرت نفس هذه الشواطئ البريطانية ، بعد أن خرجت منفيا من بلادى نتيجة اضطرابات الثورة ، ثم أبعدت عن الأراضى البريطانية ، نتيجة مؤامرات المهاجرين . أما الآن فأعود إليها مليئا بالأمل ، بل الرغبة فى ارساء قواعد التحالف بين فرنسا وانجلترا ، وهو التحالف الذى كنت دائما



لويس — فيليب

نهاية أمير

مرت السنوات الأخيرة من حياة أمير بنيڤان فى هدوء . وقد قضاها عند ابنة أخيه ، دوقة دينو Dino ، التى كان يكن لها صداقة عميقة . وبتأثير عاطفة الصداقة هذه ، حدث مالا يكاد يصدقه أحد : ألا وهو عودة المطران المنشق ، والمسيحى المرتد ، إلى حظيرة الإيمان . وهنا يتساءل بعضهم عما إذا كانت هذه الخطوة من جانب تاليران ليست إلا آخر مناورة يقوم بها لذر الرماد فى عيون العالم . . . أما بعضهم الآخر فيرى أن ما قاله تاليران نفسه فى هذا الصدد يفسر حقيقة طبيعته خير تفسير ، فقد قال : « إنى أريد أن يظل العالم ، على مر القرون ، يناقش ماذا كنت ، وماذا كنت أفكر فيه ، وماذا كنت أريد » .

نزلات البرد العامة

يقاسى كل فرد تقريبا فى بعض البلدان الأوروبية، من نزلة برد وزكام فى الأنف مرتين فى السنة.

ويتكرر حدوث الزكام فى الأنف أكثر من أى مرض معد، ولذلك – ولأسباب وجيهة تماما – سمى « بنزلات البرد العامة Common Cold ». وتحدث النزلة البردية بفعل ڤيروس، أو بالأحرى بفعل عدة ڤيروسات مختلفة، تتعلق كلها بالغشاء المخاطى Mucosa الذى يبطن المسالك الأنفية، وتتسبب العدوى بهذه الڤيروسات فى جعل الغشاء المخاطى الذى يبطن المسالك الأنفية يتورم ويصب كميات كبيرة من المخاط الأنفى Nasal Mucus، وهذا بعينه هو الذى يحدث أكثر أعراض الزكام وضوحا ومضايقة، ألا وهو انسداد الأنف، وسيلان الرشح منه.

أعراض البرد

يكفى لشخص سليم أن يقضى لحظات قليلة فى وجود شخص مصاب بنوبة برد شديدة، لكى تهيء هذه اللحظات فرصة لإصابته بعدوى البرد. وتبلغ فترة الحضانة Incubation Period للزكام – أى الوقت ما بين العدوى وأول ظهور الأعراض – حوالى ٤٨ ساعة. ويبدأ المصاب بعد ذلك فى الإحساس بقليل من الحرقان فى واحدة أو اثنتين من طاقتى أنفه، وخاصة حينما يستنشق الهواء، وكثيرا ما يصاحب هذا الحرقان Soreness نوبات من العطس Bouts of Sneezing. وقد تبدأ نوبات البرد عند بعض الناس – بصورة مميزة – بدلا من الأنف، بحرقان بسيط فى حلوقهم.

وأهم الأعراض Symptoms التى تميز البرد العام، هو انسداد وسيلان الأنف، ويحدث عادة فى خلال ١٢ ساعة من حدوث الحرقان. وفى بادئ الأمر، تتدفق من الأنف كميات كبيرة من مخاط مائى تقريبا (مرحلة استعمال المناديل الورقية)، ثم يصبح المخاط – بعد حوالى يومين – أثقل بكثير، وأقل فى كميته. وعلى المرء فى أثناء هذه المدة أن يتنفس عادة من فمه، لأن المسالك الأنفية تكون مسدودة تماما بالغشاء المخاطى المتورم، والمخاط الزائد.

وبعد حوالى أربعة أيام أخرى، يخف تورم الغشاء المخاطى، وتعود كمية المخاط إلى طبيعتها. وهكذا تنتهى نوبة البرد بالنسبة للكثيرين، بعد أن تكون الأعراض كلها قد مكثت مدة أسبوع فقط.

أما بعض الأشخاص من ذوى الحظ السيئ، فقد يصابون بكحة Cough فى هذه المرحلة، وقد تستمر بصورة مهيجة لمدة أسبوعين آخرين، قبل أن تختفى نهائيا، وحينئذ يقال إنهم قد شفوا تماما

المضاعفات

إن أكثر مضاعفات Complications النزلات البردية انتشارا هى « التهاب الجيوب الأنفية Sinusitis »، أى الالتهاب الذى يحدث فى الفراغات الهوائية (الجيوب) الموجودة داخل العظام، الكائنة على جانب وفوق المسالك التنفسية. وكثيرا ما يكون هذا النوع من المضاعفات باعثا على الضيق ومسببا للألم، وقد يحتاج الأمر إلى علاج بوساطة مضادات الحيويات Antibiotics، لكى يتم قهر الجراثيم المسئولة بصفة رئيسية عن حدوثها.



قد تؤدى مضاعفات نوبة إصابة بالبرد، إلى التهاب كل من الجيوب الأمامية (البرتقالية اللون)، والجيوب الفكية (الزرقاء اللون).

أما بالنسبة للأطفال الصغار الذين يرضعون لبن أماتهم أو « بالبزازة »، فإن الإصابة بنوبة برد تعد مرضا خطيرا تماما. فبسبب هذا الأنف المسدود، يحتاج الطفل إلى استعمال فمه من أجل التنفس والطعام معاً. ونتيجة لذلك، قد يجد الطفل مشقة فى الرضاعة من الثدى، بحيث يصبح مرهقا تماما قبل أن يتمكن من الحصول على حاجته الكافية من اللبن بفترة طويلة.

العلاج

كان المصاب بالبرد ينصح بتناول الكينين Quinine، أو الشاى، أو شراب الليمون، أو العسل، أو حتى بعض المواد الكحولية من أجل علاج نوبات البرد العامة. ولكن لا يظهر أن لأى واحدة منها أثرا كبيرا. ولاشك أن أفضل علاج هو الراحة التامة عدة أيام فى الفراش، بحيث يصاحب المريض صندوق من المناديل الورقية، وذلك كفيل لا بإحداث شفاء ذاتى فى خلال أسبوع فقط، ولكن من المحتمل أن يقى ذلك بقية سكان المنزل من الإصابة بعدوى البرد.

وفى أثناء الأعوام القليلة الماضية، ظهرت بعض أنواع الحبوب التى – بتناولها عن طريق الفم – تؤدى إلى اختفاء تورم الغشاء المخاطى للأنف، وهكذا يصبح التنفس عن طريق الأنف أسهل بالنسبة للمصاب. وكثير من الناس يجدون أن هذه الحبوب تساعدهم إلى حد بعيد، ومادامت هذه الحبوب تستعمل باعتدال، فإنها تخلو تماما من أى ضرر.

اكتشاف الڤيروس

وقد اكتشف ڤيروس البرد العام لأول مرة فى عام ١٩٥٣، على يد فريق من علماء الڤيروسات البريطانيين العاملين فى إحدى مستشفيات ساليسبورى. ولسوء الحظ، كانت هناك صعاب فى استزراع هذا الڤيروس الأول من ڤيروسات البرد، وبعد فترة ضاع أثر هذا النوع من الڤيروسات. ورغم ذلك فقد استمر هؤلاء العلماء فى أبحاثهم، وفى عام ١٩٥٩، نجحوا مرة أخرى فى عزل ڤيروس كان يستطيع أن يتسبب فى البرد. ومنذ ذلك الوقت، نجح علماء الڤيروسات فى عزل ڤيروسات كثيرة من التى تسبب نوبات البرد، ومن المؤكد الآن أنه لايوجد مجرد نوع واحد من الڤيروسات يعتبر مسئولا عن إحداث نوبات البرد، بل إن هناك أنواعا عديدة. وهذه الأنواع المتعددة من ڤيروسات البرد قد تفسر – إلى حد ما – حقيقة أن أعراض البرد ليست دائما متطابقة تماما.

الوقاية من نوبات البرد

إن أفضل طريقة لمنع نوبات البرد فى الوقت الحاضر، هى أن يخلد المصاب بالبرد إلى الراحة التامة فى الفراش. وبذلك تقل اتصالاته بالناس الآخرين إلى الحد الأدنى، وتقل بالتالى فرص انتقال عدوى البرد منه إلى الآخرين.

وربما نتوصل يوما ما إلى الحصول على ڤاكسين (طعم Vaccine) يمنع نوبات البرد، أو إلى دواء يمنع ڤيروسات البرد من النمو فى غشاء الأنف المخاطى. ولكننا، وحتى يحدث ذلك، سنظل منكوبين بهذا المرض، الذى يعتبر من أكثر الأمراض المعدية انتشارا.

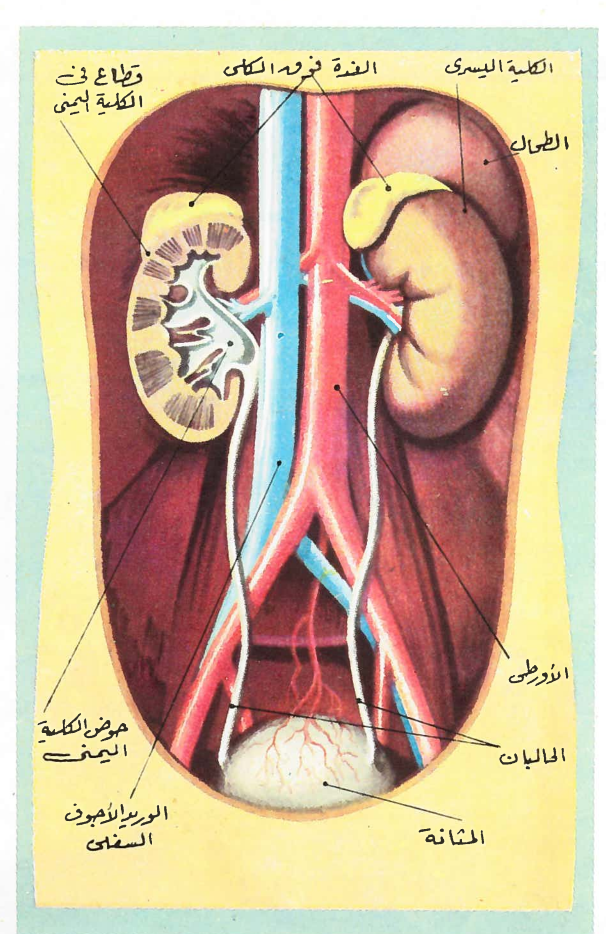
التهـــاب الـــكلى "مـــرض بـــرايت"

تطل صور كثير من الأطباء المشهورين فى إطاراتها على حوائط كلية الأطباء الملكية بلندن، ولكن من أكثرها إنسانية، صورة ريتشارد برايت **Richard Bright** . كان برايت رجلا رحالة ، وفنانا ، وطبيبا ، وهكذا كان « رجل مزاج سوى ، وميول مرحة » . وكذلك كان رجل عمل متواصل ، ونظرة ثاقبة، وكانت هذه هى الصفات التى مكنته أن يدرك — قبل أى طبيب آخر — هـذا المرض الغريب الذى يصيب الكليتين ، والذى يعرف حتى اليوم بمرض برايت **Bright's Disease** .

ريتشارد برايت

ولد ريتشارد برايت فى عام ١٧٨٩ ، وكان ابنا لأحد رجال بنوك مدينة برستول الأثرياء . وقد درس الطب فى إدنبره وفى مستشفى جاى بلندن، وتخرج كطبيب فى عام ١٨١٣ . وبدلا من أن يمارس المهنة مباشرة بعد الحصول على شهادته ، غادر انجلترا فى جولة واسعة فى أوروبا ، وبقى بالخارج حتى عام ١٨٢٠ ، وعند عودته مارس المهنة كطبيب مشهور فى لندن ، وفى فترة جد قصيرة، تم تعيينه كمساعد إخصائى باطنى فى مستشفى جاى . وبعد أربع سنوات، وفى عام ١٨٢٤ ، رقى لوظيفة إخصائى باطنى .

ولم يكن ريتشارد برايت طبيبا دؤوبا منكبا على العمل فقط ، وإنمـا كان شديد الحنكة والدهاء أيضا . فبعد قليل من تعيينه فى مستشفى جاى ، أدرك أن المرضى المصابين بتورم **Dropsy** فى ساقيهم كثيرا ماكانت فى بولهم مادة زلال (الألبومين **Albumin**) . وقد رأى برايت أيضا أن هاتين الظاهرتين كانتا — بطريقة ما — مرتبطتين بمرض الكليتين . ولكى يثبت فكرته ، ابتدأ يبحث المشكلة ، عاكفا على ذلك لمدة ست ساعات كل يوم ، لمدة شهور عديدة . وفى عام ١٨٢٧ ، كان قد اكتشف الحقائق الرئيسية للمرض الذى يحمل الآن اسمه ، وهكذا أصبح واحـدا من أكثر الأطباء شهرة فى كل العصور .



يوضح هذا التشريح ، ترتيب أعضاء الجهاز البولى داخل التجويف البطنى .

وظيفة الكليتين

ومن المهم — لكى نفهم طبيعة المرض الذى اكتشفه ريتشارد برايت — أن نعرف أولا قليلا من المعلومات حول فسيولوچيا الكليتين . ففى الشخص البالغ العادى، توجد اثنتان من هذا العضو ، ومهمتهما هى أن يزيلا من الدم — وبالتالى من الجسم ككل — مالا حاجة له به من الماء ، ومن منتجات التمثيل الغذائى للجسم ، وخاصة الفضلات النيتروچينية التى هى « البولينا **Urea** » . ويتم توجيه الدم الذى يصل إلى الكليتين عبر الشرايين الكلوية إلى الجزء الخارجى من مادة الكلية ، وحيث يمر عبر آلاف من الحصلات الدقيقة **Tiny Tufts** ، من الشعيرات الرقيقة الجدارن والتى تعرف بالمرشحات الكلوية **Glomeruli** . وتتسرب الفضلات التى لا حاجة لها فى الدم عبر الجدران الرقيقة لشعيرات هذه المرشحات ، وبعد أن تتجمع فى « القشرة **Capsule** » التى تحيط بكل مرشح ، تمر إلى أسفل فى أنبوبة متعرجة طويلة تسمى « القناة الصغيرة **Tubule** » ، لتصل إلى « حوض **Pelvis** » الكلية . ويعرف السائل الذى يتجمع فى أحواض الكليتين « بالبول **Urine** » .

ما الذى يسبب مرض برايت

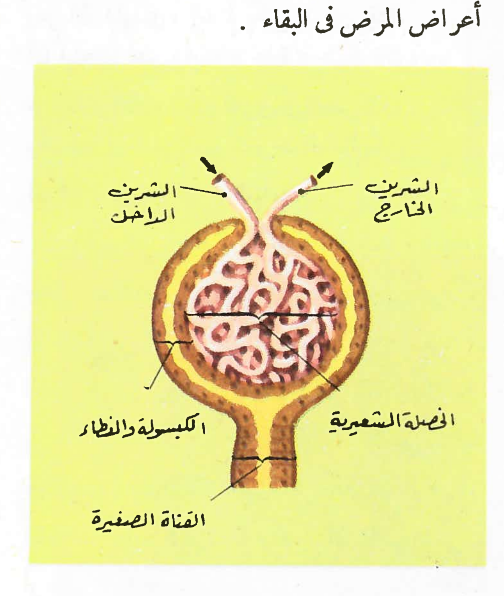
بالرغم من مرور أكثر من مائة عام منذ اكتشف ريتشارد برايت المرض الذى يحمل اسمه ، إلا أن سبب المرض لا يزال غير مفهوم تماما . ومع ذلك ، فنحن نعلم أن كثيرا من نوبات المرض تتبع التهابات الحلق ، وخاصة التهاب اللوزتين **Tonsillitis** ، وأن الإصابة الرئيسية فى مرض برايت ، هى درجة التهاب شديد فى الكليتين ، وكثير من الأطباء يسمون التهاب الكلى **Nephritis** (من اليونانية **Nephros** بمعنى كلية) .

المـــرض

تختلف قمة مرض برايت اختلافا كبيرا ، إذ أن بعض المصابين به يصبحون مرضى إلى درجة كبيرة بصورة مفاجئة ، فى حين أن بعضهم الآخر قد يحيون حياة عادية لمـدة سنوات ، من غير أن يدركوا أنهم مصابون بالمرض . وليس مجهولا أن المرض قد يكتشف لأول مرة حينما يذهب المصاب به — وهـو لا يدرى بإصابته بالمرض — لإجراء فحص طبى روتينى .

ورغم أن أعراض المرض تختلف اختلافا كبيرا من مريض لآخر ، إلا أنها كلها تقريبا ترجع إلى التهاب الكليتين . وهكذا ، فحين يكون الالتهاب شـديدا — حتى لو لم يكن بالضرورة التهابا دائمـا — فإن الزلال (الألبومين) لا يتسرب فقط من الدم فى البول، وإنما تتسرب أيضا أعداد من كرات الدم الحمراء، ونتيجة لذلك فإن البول يصبغ باللون الأحمر . وفى عديد من الأحيان ، هناك قصور فى وظيفة الكلى الإفرازية ، حتى يتم احتجاز الماء والملح الذى لا لزوم له فى الجسم ، وينتج عن ذلك التورم . وفى حالات أخرى ، لا يتم إفراز البولينا بكمية كافية بسرعة ، ويرتفع بذلك مستوى هذه المادة، التى هى من الفضلات فى الدم .

وينحصر علاج مرض برايت فى الراحة فى الفراش ريثما تخف حدة التهاب الكلى . وفى بعض الحالات — مع ذلك — تصاب المرشحات الكلوية بالتلف الخطير ، إلى الحد الذى تصبح فيه عاجزة عن العمل بصورة طبيعية مرة أخرى ، ونتيجة لذلك تستمر بعض أعراض المرض فى البقاء .



منظر لإحدى المرشحات الكلوية . ويوضح كيف تتسرب الفضلات من الحصلة الشعيرية إلى تجويف القناة البولية .

ابن جامع

هو أبو القاسم اسماعيل بن جامع ، العربى القرشى حسباً ونسباً . ولد بمكة ومات أبوه وهو صبى . ربى تربية فقهية دينية تليق بأمثاله من أبناء البيوتات المجيدة من قريش . ثم تزوجت أمه من « سياط » المغنى المشهور ،فنشأه نشأة موسيقية حتى صار علماً من أعلام الغناء والتلحين فى العصر العباسى . وكان وافر التقوى، كثير التعبد والصلوات ، يبدو فى أردية الفقهاء وأهل الورع .

ابن جامع وإبراهيم الموصلى

وقد عاصرابن جامع إبراهيم الموصلى، وكان ينازعه المقام الفنى الرفيع البعيد المدى . وقد حكم بينهما « برصوم » العازف بالناى،حكم معاصر فنان يضع كلا منهما فى موضع لا ينتقص فيــه فضله . قال حين سئل عنهما : « الموصلى بستان تجد فيه الحلو ،والحامض ،والطرى الذى لم ينضج ،فتأكل من هذا وذاك، وابن جامع زق عسل ، إن فتحت فمه خرج عسل حلو ، وإن خرقت جنبه خرج عسل حلو ، وإن فتحت يده خرج عسل حلو ، كله جيد » .

ونمى إلى الخليفة المهدى (٧٧٥—٧٨٥م) أن ابن جامع وإبراهيم الموصلى يجلسان إلى ولده موسى الهادى فى مجلس شراب وغناء ، وكان قد حرم على ولده أمثال هذه المجالس وهو بين فتنتى الشباب والثروة ، فاستقدم هذين المغنيين ، وضرب الموصلى ضربا موجعا ، وأمر بحبسه . أما ابن جامع فاسترحم الخليفة فرق له،وأطلق سراحه وقال له : قبحك الله ، أرجل من قريش يغنى ! ! . . .

رحم الله المهدى، إنه لم يكن يدرى وقتئذ أن ابنه إبراهيم وابنته « علية » سيكونان من مفاخر أعلام الغناء العربى فى العصر كله، وأن لهما فى حسن الصوت وجماله مالم يكن لغيرهما ، وإن لم يحترفا الغناء .

وغنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد ، وجاء إبراهيم الموصلى بعد يوم يسأل الوزير جعفر عما كان لمجلسهما من الأثر . فأخبر جعفر أن ابن جامع كان يغنيهما ، وكان يخرج فى غنائه عن الإيقاع . وكأنما حاول جعفر بهذا أن ينزل بقيمة ابن جامع قليلا لتطيب نفس الموصلى، لما يعرفه بينهما من شديد المنافسة . وهنا تتجلى روح الفن الصادق ، بل هنا تستيقظ أريحية الموصلى ونبله ، فينسى المنافسة ، ويذكر شيئا واحدا هوالحق الذى يعتقده فى زميله الفنان ، فيجيب جعفر ، وهو الوزير المطلق اليد النافذ الكلمة ، بذلك الجواب الحاسم فيقول : « أتريد أن تطيب نفسى بما لا تطيب به . لا والله ، ما عطس أو سعل ابن جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع ، فكيف يخرج اليوم منه ! ! ! » .

لكل بيت مائة ألف درهم

وقلما سمعنا أن شاعرا أو مغنيا كوفىء عن كل بيت من قصيدة غناها مكافأة خاصة ، كأن كل بيت منها قصر من الفن الخالد ، جدير بالتقدير والتحميد . أرسلت زبيدة إلى الرشيد مرة تقول له : يا أمير المؤمنين ، إنى لم أرك منذ ثلاثة أيام ، وهذا اليوم الرابع . فأرسل إليها يقول : عندى ابن جامع . فأرسلت تقول : أنت تعلم أنى لا أهنأ بشراب ولا سماع إلا أن تشاركنى فيه ، فما عليك أن أشاركك فى الذى أنت فيه ؟ فأرسل إليها : إنى سائر إليك الساعة . وسار إليها ومعه ابن جامع ، وجعله فى موضع يسمع منه ،ولا يكون حاضراً معهما . ثم أمره أن يغنى فغنى أبياتاً فى لحن نادر المثال . فطربت زبيدة طرباً بالغا ، وقالت لخادمها: « ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائة ألف درهم » . فقال الرشيد: « غلبتنا يابنت أبى الفضل، وسبقتنا إلى بر ضيفنا».

رقيق الشعر والألحان

وكان ابن جامع يتخذ الرقيق من الشعر ،ليضع له أجمل الألحان . وإنك لتقرأ هذه الأبيات الثلاثة فيشجيك منها نسجها ومعناها ، قبل أن تعرف شيئا عن لحنها،وما أروع اللحن إذا كان الغناء لابن جامع :

فلو كان لى قلبان عشت بواحـــد
وخلفت قلبا فى هواك يعــذب
ولكنما أحيــا بقلب مـــروع
فلا العيش يصفو لى ولا الموت يقرب
تعلمت أسباب الرضى خوف سخطها
وعلمها حبى لهــا كيف تغضب

وكان من أحسن ألحان ابن جامع لحنا غناه تشببا بحبيبته، وكانت سوداء اللون ، قال :

أشبهك المسك وأشبهتــه
قائمــة فى لونه قاعــدة
لا شك إذ لونكما واحــد
أنكما من طينــة واحــدة

وكان ابن جامع من أولئك العباقرة الذين يلتقطون الجوهرة حيثما وجدت ، لا يبالون من أين ولا ممن ،ما دامت هى الجوهرة . فقد استمع إلى جارية سوداء تحمل قربتها،فاشترى منها اللحن مرتين فى يومين متتاليين ، دونأ ن يعنيه أنه هو ابن جامع مغنى الخلفاء ، وأنها الجارية التى تحمل قربة السقاء .

استمع ابن جامع يوماً إلى أمة سوداء على ظهرها قربة وهى تغنى :

فردى مصاب القلب أنت قتلته ولا تبعدى فيما تجشمت ، كلما
إلى الله أشــكو بخلها وسماحتى لهــا عسل منى وتبــذل علقما

فقصد ابن جامع إلى الجارية ، وحفظ منها اللحن نظير درهمين منحهما إياها . ولكن ابن جامع أصبح من غد لا يذكر شيئا من هذا اللحن ، وإذا هو بالسوداء قد طلعت وعلى ظهرها القربة ،ولكنها تغنى لحنا غير ذلك اللحن الذى يريده . فمنحها درهمين آخرين ،وأخذ منها لحن الأمس مرة ثانية . . . ثم كان ابن جامع عند الرشيد يوما فقال : « من غنانى فله ألف دينار » . فغنى القوم فلم يطرب الرشيد ، إلى أن غنى ابن جامع صوت الجارية السوداء ، فرمى الرشيد إليه بكيس فيه ألف دينار ، ثم قال له أعده ، فأعاده ، فرمى إليه بثان ، ثم أعاده ، فرمى إليه بثالث ، ثم برابع . .

وتوفى ابن جامع حوالى عام ١٨٨ هـ (٨٠٣ م) .

كيف تحصل على نسختك

- اطلب نسختك من باعة الصحف والأكشاك والمكتبات فى كل مدن الدول العربية
- إذا لم تتمكن من الحصول على عدد من الأعداد اتصل بـ :
- فى ج.م.ع : الاشتراكات - إدارة التوزيع - مبنى مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
- فى البلاد العربية : الشركة الشرقية للنشر والتوزيع - بيروت - ص.ب ١٤٨٩
- أرسل حوالة بريدية بمبلغ ١٢٠ مليما فى ج.م.ع وليرة ونصف بالنسبة للدول العربية بما فى ذلك مصاريف البريد

مطابع الأهرام التجارية

سعر النسخة

ج.م.ع	١٠٠	مليم	أبوظبى	٢٠٠	فلس
لبنان	١	ل.ل	السعودية	٢	ريال
سوريا	١,٢٥	ل.س	عدن	٥	شلنات
الأردن	١٢٥	فلسا	السودان	١٥٠	مليما
العراق	١٢٥	فلسا	ليبيا	١٥	قرشا
الكويت	١٥٠	فلسا	تونس	٢	فرنكات
البحرين	٢٠٠	فلس	الجزائر	٣	دنانير
قطر	٢٠٠	فلس	المغرب	٣	دراهم
دبى	٢٠٠	فلس			

دستور

أما فى فرنسا ، فكان لابد من الانتظار حتى ثورة ١٧٨٩ ، لكى يوضع حد لنظام الحكم الملكى المطلق . والواقع أنه فى ذلك التاريخ ، صوتت الجمعية التأسيسية على « إعلان حقوق الإنسان والمواطن » .

وفى انجلترا، كان النظام الديموقراطى وليد تطور تاريخى طويل الأمد . فى عام ١٢١٥ ، منح الملك جون الملقب « بالذى لا يملك أرضا » للشعب « العهد الأعظم Magna Carta » ، وهو العهد الذى يحدد نهاية الحكم المطلق ، ويعترف بحرية الإنسان . وقد استكمل هذا العهد فى عام ١٦٢٨ بلائحة الحقوق ، التى تنص على أنه لا يمكن حبس أى مواطن إلا بقرار من القاضى Habeas Corpus ، وأن بيته لا يمكن التعدى عليه.



أحد أفراد الرعية ، ينحنى أمام ملكه ، ليقسم له يمين الطاعة والولاء .

وفى عام ١٦٤٩ ، دعا أوليفر كرومويل Oliver Cromwell البرلمان الإنجليزى ليعلن « أن الشعب يملك كل السلطة بعد الله ، وأن مجلس العموم يمثل الشعب » . وقد أصبح نظام الحكم فى انجلترا تحرريا Liberal ، واعترف به وليم الثالث (أورانج) عندما اعتلى عرش انجلترا عام ١٦٨٩ ، وذلك بعد ثورة كرومويل .

أما الوثائق الأساسية الأخرى فى تاريخ الحرية فهى « إعلان استقلال الأراضى المنخفضة » (١٥٨١)، و « إعلان الحقوق » (الذى وافقت عليه الولايات المتحدة عام ١٧٧٦)، وأخيرا إعلان «حقوق الإنسان والمواطن» عام ١٧٨٩ ، السابق ذكره .

وفى عام ١٨١٥ ، حاول الملوك الاحتفاظ بجزء من السلطات المطلقة التى بقيت لهم ، فعقدوا « الحلف المقدس » ، غير أن الثورات التى اندلعت فى جميع أرجاء أوروبا على مدار القرن التاسع عشر، قد وطدت حق الشعوب فى الاشتراك فى حكم بلادها .



كان العهد الأعظم، الذى منحه ملك انجلترا للبارونات، خطوة أولى فى سبيل حكومة الشعب

والدستور Constitution هو القاعدة التى تبنى عليها الدولة نظام الحكومة وتنظيمها . كما أن من وظائفه تحديد العلاقة بين المواطنين وحكومتهم .

أهم الدساتير الفرنسية

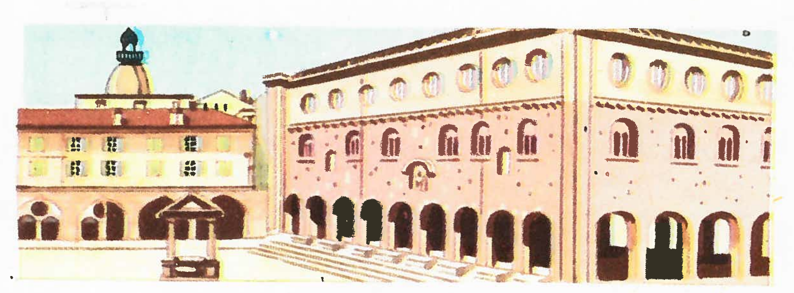
فى الفترة ما بين عامى ١٧٨٩ و ١٨٧٥ ، تعاقب على فرنسا ثلاثة عشر دستورا، أهمها :

دستور ١٧٩١ الذى وضعته الجمعية التأسيسية .

دستور ١٧٩٣ وهو من وضع المؤتمر (ولم ينفذ) .

دستور العام الثالث ، وقد وضعه المؤتمر ليحل محل الدستور السابق، الذى لم يتسن تطبيقه.

كانت تلك الدساتير ذات صبغة ديموقراطية ، وقد ألغاها نابليون بونابرت



قصر العدالة فى ميلانو

عندما تولى الحكم ، وأنشأ الحكومة القنصلية ثم الإمبراطورية على أساس دستور العام الثالث .

دستور ٤ يونيو ١٨١٤ ،ويعتبر العلامة المميزة لبداية عودة الملكية فى فرنسا، وقد حل محله دستور ٤ أغسطس ١٨٣٠ بعد ثورة ذلك العام ، ولكنه منح الفرنسيين حرية أوسع .

وجاء دستور ١٨٤٨ فأسس نظاما جمهوريا استمر حتى صدور دستور عام ١٨٥٢ ، الذى يعتبر بداية الإمبراطورية الثانية .

وكان لابد من انتظار صدور دستور ١٨٧٥ ، لكى تستقر الإمبراطورية الثالثة .

وبعد الاضطرابات التى حدثت فى الفترة ما بين عامى ١٩٤٠ و ١٩٤٥ ، صدر دستور ١٩٤٦ ، وهو دستور الجمهورية الرابعة .

وأخيرا نذكر آخر دستور صدر فى فرنسا ،وهو دستور ٤ أكتوبر ١٩٥٨ .

معجم مختصر لبعض الاصطلاحات السياسية

حكم مطلق : شكل الحكومة التى يكون لرئيس دولتها جميع السلطات، دون استشارة ممثلى الشعب .

تعديل : التغيير الذى يجرى على القوانين .

استبدادية : شكل الحكم فى مجتمع بدون دولة (نظام) .

الانتخاب بالاسم : نوع من التصويت يدعو فيه رئيس المجلس جميع الناخبين بالترتيب الهجائى لأسمائهم ، وهؤلاء يجيبون بنعم أو بلا عند النداء عليهم بالاسم .

جمعية تأسيسية : وهى جمعية تكلف بوضع الدستور . ولقد اكتسبت الولايات الفرنسية التى اجتمعت فى عام ١٧٨٩ اسم « الجمعية التأسيسية » ، عندما قررت منح فرنسا دستورا .

فى هذا العدد

- أساطير رومانية قديمة .
- سورها دريان .
- الراين ● البراكين ● الفراولة .
- تعايش بين النبات والحيوان .
- الملك الضهيد والدانيون .
- تاليران ، أمير السياسة .
- نزلات البرد العامة .
- التهاب الكلى "مرض برايت" .
- ابن جامع .

فى العدد القادم

- جستنيان .
- التقويم الرومانى والعملة والأوزان والمقاييس .
- النمسا - من الناحية الاقتصادية
- مدن النمسا .
- السلاحف البرية والسلاحف البحرية .
- الملك جون .
- أوروبا بعد مؤتمر ڤيينا .
- الكساح .
- مرض السكر .
- أمير ويلز .

الناشر: شركة ترادكسيم شركة مساهمة سويسرية "جنيف"

دستور

الحكم الذاتى (لا مركزية) : استقلال نسبى بالنسبة للدولة لجزء محدد منها (ولاية أو كومون أو مقاطعة) ، أو لخدمة عامة (البريد والتليفون والتلغراف) .

مرشح : اسم يطلق على كل شخص يرغب فى أن ينتخب لإحدى الوظائف العامة .

الوسط : اسم يطلق على الأحزاب السياسية التى تجلس فى منتصف المجلس .

رئيس الدولة : السلطة العليا فى الدولة ، ملك أو رئيس جمهوريه تبعا لنظام الحكم .

الكومون : أصغر تقسيم إدارى فى الدولة .

مجلس الوزراء : اجتماع جميع الوزراء ، سواء كانت لهم وزارات ، أو كانوا وزراء دولة .

مجلس بلدى : الهيئة الإدارية للكومون ، وتتكون من العمدة ، ونوابه ، وأعضاء المجلس الذين ينتخبهم أهالى الكومون .

الدستور : القوانين الأساسية للدولة ، وتحدد أعضاء السلطة وعلاقاتهم ، وتحدد واجبات وحقوق الفرد بالنسبة للدولة .

انقلاب : محاولة غير قانونية للاستيلاء على السلطة .

مرسوم : قرار من السلطة التنفيذية يتخذ فى حدود القانون .

مرسوم بقانون : قرار عام تتخذة الحكومة بدلا من البرلمان وبتصريح منه .

ديموقراطية : حكم الشعب بوساطة ممثليه المنتخبين .

نائب : مواطن ينتخبه الشعب .

دبلوماسية : النشاط المتعلق بالعلاقات السياسية مع الدول الأخرى .

اليمين : اسم يطلق على الأحزاب السياسية التى تجلس إلى يمين المجلس بالنسبة للناظر إلى نصف الدائرة .

ناخب : المواطن الذى له حق الانتخاب .

انتخاب : العملية التى يحدد بها المواطنون ، عن طريق التصويت ، ممثليهم فى الوظائف العامة أو السياسية .

الدولة : مجموع الهيئات التى يحددها الدستور لإدارة وتوجيه الأمة .

حامل أختام : وزير العدل الذى يحمل الأختام التى يوقع بها أسفل المعاهدات .

اليسار : اسم يطلق على الأحزاب السياسية التى تجلس إلى يسار المجلس بالنسبة للناظر إلى نصف الدائرة .

الحكومة : مجموع الوزراء .

حصانة برلمانية : مبدأ يقضى بعدم جواز القبض على عضو البرلمان أو الحكم عليه ، إلا بموافقة أعضاء المجلس الذى يتبعه .

جريدة رسمية : جريدة تنشر بها جميع قرارات الدولة .

قانون : إجراء إرادى يتخذه البرلمان ، ويلتزم به جميع المواطنين . والقانون يعتمد من كلا المجلسين ويصدره رئيس الدولة .

وزارة : مجموعة إدارية تعمل على تنظيم الأنشطة ذات الطابع الواحد فى مستوى الدولة .

وزير بوزارة : الشخص الذى يتولى الإدارة العليا فى الوزارة . ويعينه رئيس الدولة ، بناء على اقتراح رئيس الوزراء .

وزير دولة : وزير بلا وزارة معينة ، ويقصد به عادة توسيع القاعدة الوزارية .

ملكية : شكل الدولة التى يكون رئيسها ملكا .

أمة : مجموعة الأفراد الذين يتكلمون عادة نفس اللغة ، ولهم نفس التقاليد ، ونفس الأصل ، وقد أبدوا الرغبة فى المعيشة معا تحت ظل نفس القوانين .

برلمان : فى فرنسا يدل الاسم على مجلس الشيوخ والجمعية الوطنية .

حزب : مجموعة أفراد يشتركون أساسا فى نفس الآراء السياسية .

مشروع قانون : اقتراح تقدمه الحكومة لإصدار قانون جديد ليقره البرلمان .

اقتراح بقانون : مشروع قانون يضعه أعضاء مجلس الأمة أو مجلس الشيوخ ، وليس الحكومة .

استفتاء : إجراء يدعى الشعب بمقتضاه إلى الإدلاء مباشرة برأيه عن طريق التصويت .

جمهورية : شكل الدولة التى يتولى فيها الرئيس سلطاته عن طريق انتخابه .

نائب وزير أو وكيل وزارة : شخص يعينه رئيس الدولة ، بناء على اقتراح مجلس الوزراء ، لمساعدة الوزير الذى يعين لأجله ، ويجوز أن ينوب عنه .

الاحتياطى العام : الاحتياطى المالى للدولة .

الاعتراض « ڤيتو » : حق بمقتضاه تستطيع منع الأغلبية من اتخاذ قرار باختيارها .

تصويت : إجراء يعبر بمقتضاه المواطن أو النائب عن إرادته .